

وَمَصْنَعَاتُ وَأَيَّامُهُ

من حياة الشيخ

عبد الله بن عبد المحسن العرج

(١٣٤٠ هـ - ١٤٢١ هـ)

تأليف

بشير بن عبد الله العرج

ومضات وأبيات

من حياة

الشيخ عبدالله بن عبدالمحسن الفريح

(١٣٤٠هـ - ١٤٢١هـ)

تأليف

بشير بن عبد الله بن عبدالمحسن الفريح

١٤٣٠هـ



الإهداء

إلى من حملتني بين جنبيها أشهراً

ثم حضنتني بين ذراعيها سنيماً

ولا تزال ترعاني بعطفها ودعائها

إلى والدتي الغالية..

موضي بنت صالح بن شايح الصاخي

أهدي هذا الكتاب

شكر وتقدير

شكر وتقدير

بعد شكر الله ﷻ ...

أتقدم بالشكر الوفير والامتان والتقدير لكل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب من الإخوة والأخوات والأقارب والأصدقاء، وأخص من بين أولئك أخي الدكتور صالح الذي وقف معي منذ البداية وشجعني على المضي بهذا العمل حتى النهاية، فكان يساعدي ويزودني بما أطلبه وأحتاجه، وحين انتهى الكتاب تبرع مشكوراً مأجوراً - إن شاء الله - بطباعته على حسابه الخاص فجزاه الله كل خير. وله مني كل الشكر والتقدير.





المقدمة

المقدمة

في شهر ربيع الأول من عام ١٤٢١هـ وقبل وفاة والدي ~ بفترة قصيرة طلبتُ منه أن يملي عليّ ما يذكره من قصائده وذكرياته، ومن الأحداث المثيرة التي مرّت به على مدى عمره المبارك، وأخذت أكتب شيئاً منها في أوقات متفرقة ولكنني لم أحظ بالكثير، فقد جاء أجله وحانت منيته، ليفارقنا على عجل ويرحل عنا فجأة، فكأن السنوات ليالٍ بل كأنها لحظاتُ عشناها معاً، ثم جاء الفراق، ولسان الحال:

قصرتُ مع الأحباب وهي طويلةٌ
فكأنما الساعاتُ بضع ثواني

ولكن رغم ذلك لم أتوقف عن جمع آثاره وأخباره وأشعاره، وقصصه الفريدة وذكرياته البعيدة، وما مر عليه من المواقف المهمة.

وقد بدأت بجمع هذا الكتاب قبل وفاته بأسابيع وانتهيت منه بعدها بسنوات، بذلت في هذه الفترة ما استطعت من جهد ليخرج هذا العمل كما هو بين يدي القارئ الكريم.

وهذا الكتاب هو سيرة شخصية وحكاية تاريخية، فيه قصة حياة والدي ~ كما سمعتها منه، وكما عرفتُها -من بعده- عنه، وأحداثها كثيرة ولا تكاد تنتهي، حدثني بها وشهدت بنفسي بعضها، وقد ملئت حياته بالأحداث العجيبة والمواقف العصيبة التي ترى فيها العبر، وتستتبط منها الدرر والدروس المفيدة.

سأتحدث في هذا الكتاب عن اسمه ونسبه وأسرته، وعن مولده ونشأته وتعليمه، وعن رحلاته وصفاته الشخصية، وعن جوانب أخرى عديدة في حياته.

وقد جمعتُ في هذا الكتاب قصائده التي تصور جانباً من حياته وتجربته، وفي شعره موضوعات متنوعة بين وعظ ورتاء وتجربة وثناء ووصف وغيرها، وهو من الشعر الشعبي العامي، وقد لا يتذوقه من لا يجيد قراءة هذا اللون من الشعر.

إن توثيقي لحياته يأتي في سياق حفظ التاريخ المشرق للأباء والأجداد الذي أحاول أن أقدم فيه ما أستطيع، ليطلع عليه الأبناء والأحفاد من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة، وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل وأن يأجرنا على جهدنا فيه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكة المكرمة - في ١/١/١٤٣٠هـ .

الفصل الأول

الفصل الأول: حياته

اسمه ونسبه وأسرته:

هو أبو محمد عبدالله بن عبدالمحسن بن محمد بن فريح (الفريح) بن فواز بن حمد بن فواز بن سُلمي من بني العنبر من بني عمرو بن تميم.

وتتسب أسرته (الفريح) إلى فريح بن فواز^(١)، وكان والده فواز بن حمد^(٢) هو أول من قدم إلى البكيرية من أجدادنا، وذلك حين نزح عن مدينة قفار^(٣) بمنطقة حائل، وذلك في عام ١١٨٠هـ تقريباً،

(١) توفي في البكيرية عام ١٢٧١هـ.

(٢) توفي في البكيرية عام ١٢٢٦هـ.

(٣) قفار: مدينة تقع على بعد ١٢ كلم إلى الجنوب من حائل، وقد كانت

حاضرة المنطقة وعامرة بالبطولات والأجداد، وقد أدت الحروب الطاحنة

وما تلاها من انتشار الحمى الرهيبية المعروفة بحمى قفار إلى تفرق أهلها

وكان الجد فواز ضمن وجهاء البلد الذين ذهبوا
لشراء واحة البكيرية من مالكاها محمد البكري
ساكن عنيزة.

= وهجرة الكثير منهم عنها، فانهارت بذلك أكبر حاضرة عرفتها تلك
المنطقة.

والده: هو الشيخ المُحدِّث عبدالمحسن بن محمد الفريح^(١)، ولد في البكيرية عام ١٢٩٢هـ وفيها نشأ وتعلم القراءة والكتابة على يد والده

(١) ترجم للجد الشيخ عبدالمحسن عدد من المؤلفين منهم:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، في كتابه [علماء نجد خلال ثمانية قرون] ج٥، ص ٣٠ إلى ص ٣٥. ط ٢.

٢- الشيخ صالح بن سليمان العُمري، في كتابه [علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم] ج٢، ص ٣٨٧ و٣٨٨.

٣- الشيخ محمد بن عثمان القاضي، في كتابه [روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين] ج٣، ص ١٩٢ و١٩٣ و١٩٤. ط ١.

٤- الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، في كتابه [علماء الحنابلة] ص ٤٧٧.

٥- الشيخ صالح بن عبدالعزيز الخضير، في كتابه [البكيرية، تاريخها وجغرافيتها ورجالها].

٦- الأستاذ صالح بن عطا الله الخزيم، في كتابه [البكيرية] ص ٤٧.

٨- الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفريح، في مجلة العرب، ج٧، ص ٨، ٢٩

- محرم / صفر ١٤١٥هـ.

الشيخ محمد^(١)، ومكث في البلد يتعلم أسس العلوم ومبادئها حتى بلغ الخامسة عشر من عمره، ثم ارتحل إلى المذنب عام ١٣٠٨هـ لطلب العلم على الشيخ عبد الله بن دخيل^(٢)، وبقي هناك أحد عشر عاماً يطلب العلم وينهل من معينه، وفي عام ١٣١٩هـ عاد إلى البكيرية وأخذ يتتقل بينها وبين بريدة ليقراً على العلماء هناك،

(١) هو الشيخ محمد بن فريح بن فواز آل سُلمي، توفي في البكيرية عام ١٣٢٢هـ، كان من وجهاء البكيرية وأعيانها، ومن طلاب العلم المتميزين، وكان يكتب لأهل البلد ويدون لهم ما يحتاجون كالوصايا والأوقاف، وهو أول من أمّ المصلين في الجامع الكبير بالبكيرية والذي تم بناؤه عام ١٢٩٢هـ، كما أمّهم قبل ذلك في مسجد الخزيم.

(٢) الشيخ عبدالله بن محمد بن عثمان بن دخيل التميمي، ولد بالمجمعة عام ١٢٦١هـ، طلب العلم على الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وعلى ابنه الشيخ عبداللطيف وعلى الشيخ سليمان بن مقبل والشيخ محمد بن سليم، تولى قضاء المذنب عام ١٢٩٠هـ، وقام بالإفتاء والتدريس فيها حتى وفاته عام ١٣٢٤هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ص ٤٩٠، ج ٤، ط ٢.

وكان من أبرز من قرأ عليهم في بريدة الشيخ
محمد بن سليم^(١).

ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٢٣هـ ليطلب العلم
على عدد من العلماء هناك منهم: الشيخ عبدالله بن
عبد اللطيف^(١) والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف^(١)

(١) الشيخ محمد بن عبدالله بن حمد بن سليم، ولد في بريدة عام ١٢٤٠هـ،
انتقل إلى الرياض وطلب العلم فيها على عدد من العلماء منهم الشيخ
سليمان بن مقبل والشيخ عبدالله أبا بطين، أصبح لاحقاً من كبار علماء
القصيم، توفي في بريدة عام ١٣٢٥هـ، المصدر السابق، ص ١٥٠، ج ٦،
ط ٢.

(٢) الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، ولد في الهفوف
عام ١٢٦٥هـ، كان كبير العلماء في عصره، صاهره الملك عبدالعزيز حين
تزوج ابنته التي أنجبت الملك فيصل، انظر: المصدر السابق، ص ٢١٥،
ج ١، ط ٢.

(٣) الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تولى قضاء
الرياض عام ١٣١٩هـ، وهو والد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، توفي
عام ١٣٢٩هـ. انظر: المصدر السابق، ص ٣٤٠، ج ١، ط ٢.

والشيخ حسن بن حسين آل الشيخ^(١) والشيخ حمد بن فارس^(٢)، فدرس في علوم عدة وتبحر فيها ولكنه شغف بالحديث النبوي الشريف وأحب حفظ السنة المطهّرة، فكان يحفظ الكتب الستة^(٣) عن ظهر قلب، ومن محفوظاته أيضاً كتاب منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية^(٤)، وكذلك بلوغ المرام .. والعمدة^(٥).

(١) الشيخ حسن بن حسين بن علي آل الشيخ، تولى قضاء الأفلاج ثم سدير ثم الرياض، قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم "إنه فقيه علماء الدعوة"، توفي في الرياض عام ١٣٠٨ هـ. انظر: المصدر السابق، ص ٢٨، ج ٢، ط ٢.

(٢) الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن فارس التيمي الرباعي، من كبار علماء الرياض في وقته، عكف على التدريس في مسجد عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحي دخنة بالرياض، توفي سنة ١٣٤٥ هـ، انظر: المصدر السابق، ص ٩٧، ج ٢، ط ٢.

(٣) الكتب الستة هي: صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص ٣١، ج ٥، ط ٢.

(٥) انظر: روضة الناظرين، محمد القاضي، ج ٣، ص ١٩٣، ط ١.

وكان ~ من العلماء الأَجَلَاءِ^(١)، وقد قام بالدعوة والإرشاد في أول توطين البادية قبل عام ١٣٤٠هـ، ثم عُيِّنَ إماماً وخطيباً ومرشداً لبني عبد الله من مطير في هجرة العَمَارِ^(٢) حتى عام ١٣٤٦هـ، ثم انتقل إلى جامع الهلالية إماماً وخطيباً ومدرساً وذلك عام ١٣٥٥هـ.

كانت له جهود كبيرة في الدعوة و نشر العلم، وقد درس على يده جمع من طلبة العلم من أبرزهم ابنه الشيخ محمد (رئيس هيئة الأمر بالمعروف بالبكيرية) والشيخ إبراهيم بن صالح العواد (أمير الهلالية)،

(١) انظر: علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، صالح العمري، ج ٢، ط ١، ص ٣٨٧.

(٢) العمار من مراكز منطقة القصيم، وتقع على بعد ٤٠ كلم من محافظة المذنب وتبعد عن بريدة ١٠٠ كلم جنوباً، يبلغ عدد سكان العمار أكثر من (٦٠٠٠) نسمة حسب تعداد عام ١٤٢٨هـ، وينتمي أغلب سكان مركز العمار إلى ذوي عون من بني عبد الله من قبيلة مطير .

والشيخ علي بن فرّاج العقلا (عضو هيئة الأمر بالمعروف بمكة) والشيخ صالح بن إبراهيم الحميدان (تولى الإمامة والخطابة في جامع الهلالية بعد شيخه)، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الدريري (وكيل وزارة الداخلية للشؤون الأمنية سابقاً) وغيرهم من المشايخ وطلبة العلم.

قال عنه فضيلة الشيخ عبدالله البسام: ".. ثم إن المترجم اعتزل الناس، وانصرف إلى العبادة والعلم والإفتاء والتدريس، ولما عرف عنه من الزهد والعبادة وسعة العلم، فقد كان له محبة ومودة عند علماء الرياض وعلماء القصيم، فكان الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ^(١) يقصده في بلدته للأنس به والجلوس معه،

(١) هو الشيخ عمر بن حسن بن حسين بن علي آل الشيخ، تولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف بنجد والمنطقة الشرقية عام ١٣٤٥هـ، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في الطائف عام ١٣٩٥هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ج ٥، ص ٣١٠، ط ٢.

وكانوا يرغبون منه الحضور إليهم في الرياض، إلا أنه بعد استقراره الأخير في بلده صار لا يرغب الاختلاط والاجتماع، وإنما أنسه تلاوة القرآن ومطالعة الكتب والعبادة"^(١)

وقال عنه الشيخ محمد بن عثمان القاضي: ..
اشتهر بورعه وزهده وكان كثير التلاوة والذكر لا يفتر لسانه منه، وكان يحفظ بلوغ المرام والمنتقى والعمدة.. وكان إمام الجامع بالهلالية وخطيبه والمرشد فيه، وبرع في علم الفرائض وحسابها وله في التاريخ والسير والمغازي صولات وجولات.. وكذا هو المرجع في الأنساب للقبائل والمطالع وعلم الفلك.. وتبحر في علم الحديث ورجاله، ومجالسه ممتعة ومحدثاته شيقة.. فلقد كان آيةً في العلم والعمل.."^(٢)

(١) انظر: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٣، ط ٢.

(٢) انظر: روضة الناظرين، محمد القاضي، ج ٣، ص ١٩٣ و١٩٤، ط ١.

وقال عنه الشيخ صالح بن سليمان العُمري: ..
اجتمعتُ به أكثر من مرة في الهلالية وأعجبت بعلمه
وعقله وزهده، وعجبت كيف يُترك مثل هذا العالم
الكبير بدون عمل يليق بعلمه، حتى علمت أخيراً أن
المناصب عرضت عليه إلا أنه رفضها" (١).

وعندما بلغ الشيخ عبدالمحسن السابعة والثمانين
من عمره رأى في منامه رؤيا مبشّرة، وهي أن رجلين
أتياه وطلبا منه أن يرافقهما للسلام على النبي ﷺ،
فقام معهما، فذهبا به إلى مقبرة البكيرية، فلما
استيقظ علم من الرؤيا قرب وفاته.

(١) انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ج ٥، ص ٣٣، ط ٢.

وبعد أن صام رمضان وستاً من شوال أُصيب
بمرض في بطنه، وكان المرض شديداً فلم يمهلته،
فمات ~ مبطوناً - نسأل الله أن يكتبه في
الشهداء- وكان ذلك يوم الثلاثاء ١٧ شوال من عام
١٣٧٩هـ.

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.



أما والدة الشيخ عبد الله فهي سارة بنت علي بن صالح العوَّاد الطائي من قبيلة قحطان، ولدت في عام ١٣٠٠هـ، وكانت من خيرة نساء عصرها وممن عرفن بالفضل والتقوى وطيب الأخلاق وحسن التربية، وكان لها تأثير كبير وعناية فائقة بأبنائها وبناتها.

وكانت تخلف زوجها أثناء رحلاته الكثيرة في طلب العلم وتتولى شؤون الأسرة بكاملها، توفيت (رحمها الله) في البكيرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر رجب من عام ١٣٧٩هـ.



أما أخوه فهو الشيخ الوجيه المؤرخ النسابة محمد ابن عبدالمحسن بن محمد الفريح، ولد في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣٠هـ ونشأ في البكيرية وتعلم بها، فقرأ القرآن على الشيخ محمد بن محمود^(١)، وأخذ عن والده الشيخ عبدالمحسن علم الفرائض والأنساب، ولازم مجالس الشيخ القاضي محمد بن مقبل^(٢)، كما لازم مجالس الشيخ القاضي عبدالعزيز السبيل^(٣)، وكان من خواصه الذين يستشيرهم في

(١) الشيخ محمد بن محمود آل سلمي، توفي في البكيرية عام ١٣٧٣هـ.

(٢) الشيخ محمد بن مقبل بن علي بن مقبل، تولى قضاء البكيرية عام ١٣٤٧هـ، ودرس عليه الكثير من علماء القصيم والبكيرية خاصة، توفي عام ١٣٦٨هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ص ٣٨٤، ج ٦، ط ٢.

(٣) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد السبيل، تولى قضاء البكيرية عام ١٣٦٠هـ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة عام ١٣٨٦هـ وقام في التدريس في الحرم المكي الشريف حتى عام ١٣٩٨هـ، توفي في مكة المكرمة عام ١٤١٢هـ، انظر: المصدر السابق، ص ٤٦٧، ج ٣، ط ٢.

كثير من الأمور، وكان الشيخ عبدالعزيز كثيراً ما
يثني على فقهه وذكائه وفطنته وعلمه.

وقد استفاد ~ فائدة عظيمة من مطالعته
لكتب الفقه والحديث والتاريخ والأدب، وأفاد من
مكاتباته العديدة لسماحة المفتي الشيخ محمد بن
إبراهيم^(١)، ورئيس مجلس القضاء سماحة الشيخ
عبدالله بن حميد^(٢)، وسماحة المفتي العام للمملكة

(١) الشيخ العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ، كان له دور كبير في نشر
العلم الشرعي وتطوير القضاء وهو أول رئيس للقضاة، توفي عام
١٣٨٦هـ، انظر: علماء نجد، عبدالله البسام، ص ٢٤٢، ج ١، ط ٢.

(٢) الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حميد، تولى قضاء الرياض عام
١٣٥٧هـ وعمره آنذاك ثمانية وعشرون سنة، ثم تولى قضاء سدير ثم قضاء
القصيم، ثم تولى رئاسة مجلس القضاء، توفي في الطائف عام ١٤٠٢هـ،
ودفن بمكة المكرمة، انظر: المصدر السابق، ص ٤٣١، ج ٤، ط ٢.

الشيخ عبدالعزيز بن باز^(١)، وله مراسلات كثيرة مع الشيخ حمد الجاسر^(٢) ومباحثات في التاريخ والأنساب وغيرها، كما استفاد من مجالسته لخواص الناس من أعيان الحاضرة وأمراء البادية الذين كانوا يأنسون به ويكثررون التردد عليه لكرمه وعلمه وأدبه، وقد كان له تقدير كبير ومحبة ظاهرة في نفوس الناس عامة، وجنازته المهيبة تشهد بذلك فقد حضرتها جموع غفيرة ملأت الجامع الكبير فصلى الناس خارجه رغم

(١) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن ابن باز، تولى رئاسة الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٠هـ، ثم عُين رئيساً لإدارت البحوث العلمية عام ١٣٩٥هـ، ثم أصبح المفتي العام للديار السعودية حتى وفاته عام ١٤٢٠هـ.

(٢) الشيخ حمد بن محمد بن جاسر، من بني علي من قبيلة حرب، ولد سنة ١٣٢٨هـ، طلب العلم في الرياض ثم انتقل إلى مكة، لُقّب بعلامة الجزيرة، وكانت له جهود علمية في التاريخ والآثار واهتمام كبير بالأنساب، أصدر جريدة اليامة ومجلة العرب، توفي عام ١٤٢١هـ.

قصر الوقت بين وفاته والصلاة عليه، فقد توفى قبيل
المغرب وصلى عليه بعد صلاة العشاء مباشرة.

وكذلك كانت له مكانة عظيمة بين أهله
وقرابته، فقد زرع محبته في قلوب الناس بلطفه
وعطفه وفضله، وأذكر أن والدي ~ كان يبجله
كثيراً، وقد وجدت في رسائل قديمة بينهما أنه إذا
راسله قدّم الرسالة بقوله: إلى الأخ الوالد محمد الفريح
...الخ.

وفيه يقول الوالد ~ :

حنين قلبي لجّ بأرض الجزيره

من يوم رحتمو والحنين امتواصل

يقول ما يملئ حياتي بغيره

محمد اللي للقطوعين واصل

محمد اللي له مزايا كثيره

مهما مدحته قيل تحصيل حاصل



وفي عام ١٣٧٣هـ قدم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ إلى البكيرية فطلب منه الأهالي إنشاء هيئة للأمر بالمعروف، فاجتمع الشيخ عمر بالشيخ عبدالعزيز السبيل في منزل العم الشيخ محمد وتم كتابة بعض الأسماء لتعيينهم فطلب الشيخ عمر من الشيخ عبدالعزيز أن يكتب اسم الشيخ محمد بن عبدالمحسن معهم فأخبره أنه رفض ذلك فأخذ الشيخ عمر الأوراق وكتب اسمه بيده، فكان ~ عضواً في الهيئة منذ تعيينه حتى منتصف عام ١٣٩٢هـ حيث صدر قرار من ديوان رئاسة مجلس الوزراء^(١) بتعيينه رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالبكيرية، وقد أُحيل إلى التقاعد في عام ١٣٩٨هـ، ثم مُدد له حتى عام ١٤٠٨هـ، وكان ~ مهتماً بأمر الستر على الناس الذين أمر الله ﷻ بالستر عليهم،

(١) برقم ٥٥٥، وتاريخ ٢١-٢٢/٦/١٣٩٢هـ.

وكان دائماً يردد الحديث " .. من ستر مسلماً ستره الله
يوم القيامة " (١).

وكان أيضاً عضواً في كثير من اللجان الخيرية
والإصلاحية في البلد، فهو عضو في لجان النظر
المعتمدة من الإمارة والشرطة والمحكمة، واستفادت
منه جمعية البر الخيرية في البلد أول إنشائها في معرفة
المحتاجين في البلد، وكانت له جهود خاصة في
إصلاح ذات البين وحل المشاكل الزوجية ونحوها،
وكان كثيراً ما يردد الآية:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٢).

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٢)، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه،

صفحة [٤٢٨]، دار ابن حزم، ط ١.

(٢) سورة النساء: الآية (١١٤).

وكانت له مكانة وتقدير خاص عند أمراء
البلد والمسؤولين فيه وكانوا يجلبونه ويعرفون فضله
وجهوده في خدمة البلد وأهله، وقد عُرِضت عليه إمارة
البلد عام ١٣٧٤هـ لكنه رفضها رغبةً عنها و طاعة
لوالده الذي نهاه عنها ورفض دخوله فيها.

كان ~ كريماً يوصف بذلك، وكرمه
مشهور عند الخاصة والعامة وعند المقيم والمسافر،
فيندر أن يأتي يوم إلا وعنده ضيوف.

ويقول عنه الوالد ضمن قصيدة طويلة:

و(محمد المحسن) للضواين غريم

عدو ماله لو تعرض للإفلاس

كم من قطيعٍ حول داره مقيم

محضراتٍ للسكاكين والفساس

ياما ذبح من كل كبشٍ جسيم
أبت سكاكينه على ذبح الأتياس

كان وصولاً لأرحامه وأقاربه فلا يدخل بلداً إلا
ويزور كل قريبٍ له فيها، ويواصلهم بزياراته
واتصالاته الدائمة، كما كان حليماً لا يغضب إلا
فيما ندر، ويتخير منطقته إذا أراد الكلام ويسكت
في كثير من الأحيان، وكان حكيماً يعرف مواضع
الزلل ويبتعد عنها ويحذر منها، وله رأي ثاقب ومشورة
معروفة يقصده ويهاتفه الكثيرون للتور برأيه في
كثير من المسائل.

وكان ذا فراسة عجيبة في الأشخاص والبلدان
ونحوها، وهو ثقة حافظ لرواية التاريخ^(١)، وقد أهلتة
حافظته القوية لأن يحفظ كثيراً من التواريخ المهمة

(١) انظر: البكيرية، علي بن سليمان المقوشي، ص (١٨).

والوقائع والأحداث وميلاد ووفيات الأشخاص، ولذلك
كان مرجعاً في هذا الشأن للقاصي والداني، وفيه
يصح قول الشاعر:

بيناً يُرى الإنسان فيها مُخبراً
حتى يُرى خبراً من الأخبار

وينطبق عليه قول الآخر:

قد كنت تدأب في التاريخ مجتهداً
حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وكان ~ ذا معرفة بالنجوم ولذلك كان دليل
أصحابه في طريق الحج الذي أداه راجلاً خمس مرات
قبل عام ١٣٦٠هـ.

وقد كانت له عناية بأملاك أهله وأقاربه
وأوقفهم فقد قام عليها وأصلحها من ماله الخاص
حتى يستمر أجرها لمن أوقفها.

مرض في شهر شعبان عام ١٤٢١هـ، ولم يبد ذلك لأحد، ولم يشكُ مما أصابه، لكن آثار المرض بدت عليه فأصر عليه أبناؤه بالذهاب إلى المستشفى، وكان برغم شدة المرض صابراً محتسباً، وبعد صيامه لشهر رمضان من العام نفسه بدأت صحته بالتراجع، وفي العام التالي وتحديداً في ٢٦ صفر ١٤٢٢هـ صلى صلاة المغرب في الجامع الكبير، وكان المشي يتعبه جداً فيضطر إلى الجلوس ليرتاح رغم قرب المسافة، ثم انقطع بعدها عن الصلاة في المسجد لشدة المرض، لكنه لم يترك الصلاة جماعة، فكان ينتظر أحد أبنائه بعد انصرافه من الصلاة في المسجد ليصلي معه، وقد ألح عليه أبناؤه في الذهاب إلى المستشفى فلم ير ذلك حتى قيل له: لعلك إن ذهبت إليها استطعت إدراك الصلاة مع الجماعة في المسجد. فوافق ودخل المستشفى في يوم الأحد ٤ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، وبعد ثلاثة أيام دخل في غيبوبة استمرت أسبوعاً كاملاً،

ثم توفي في عصر يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول ١٤٢٢هـ
رحمه الله رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جناته^(١).

وقد أُسرع في تجهيزه والصلاة عليه عملاً بالسنة
النبوية، وقد أم المصلين عليه ابنه الشيخ ناصر، وذلك
بعد صلاة العشاء من اليوم نفسه، وقد شهد الصلاة
عليه جمعٌ كبيرٌ جداً، امتلأ بهم الجامع الكبير الذي
لم يشهد قبله مثلهم، وكان يوم تشييعه يوماً
مشهوداً، جعل الله جميع أولئك شافعين له، وتغمده
بواسع رحمته وفضله^(٢).

رثاه ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله الفريح

(١) من الموافقات أن العم الشيخ محمد ولد ومات في نفس الشهر، فقد ولد في
ربيع الأول عام ١٣٣٠هـ ومات في ربيع الأول عام ١٤٢٢هـ، والزمن بين
وفاته ووفاة جده (محمد بن فريح) مئة عام كاملة، حيث توفي جده
عام ١٣٢٢هـ، وأيضاً توفي هو وجده عن أكثر من تسعين عاماً.

(٢) استفدت أكثر هذه الترجمة من ابن العم الشيخ فريح بن محمد الفريح ~ .

بالقصيدة التالية:

شَـيْخٌ وَأَنْهَكَهُ الْأَلَمُ
مَا أَنْ قَطُّ بَلَّ ابْتَسَمَ
وَيَكَادُ يُقْسِمُ أَنََّّهُ
فِي خَيْرِ حَالٍ بَلَّ أَتَمَ
وَبَجَـوْفِ ذَاكَ الشَّيْخِ جَمَـ
رٌ قَدْ تَأَجَّجَ وَاضْطَرَمَ
لَمْ يَشْكُ مَنْ جَوْرَ الزَّمِ
إِنْ وَإِنَّمَا ذَكَرَ النَّعَمَ
صَابِرٌ تَوَّءَ بِهِ الْجَبِ
أَلٌ وَعَزَمُ شَيْخٍ مُحْتَرَمِ
(بِأَسِّ) أَلَمَ بِهِ وَبِ
أَسُّ الشَّيْخِ أَشْهُرٌ مِنْ عَـلَمِ

لَاذَ الْعِلْمِ دَوْبُجٌ سَمِيحٌ

مَنْ دُونَ إِذْنِ وَاقٍ تَحَمُّ

لَمَّا اسْتَجَارَ أَجَارُهُ

أَيْجَارُ فَتَأْكُ هَجَمٌ ؟

أَخْفَاهُ سِرًّا مَنْ سِيفُ شِ

بِي السِّرِّ إِنْ شَيْخٌ كَاتَمٌ ؟

أَخْفَاهُ يَعْلَمُ أَنْ مَنْ

أَخْفَى سَيُورِدُهُ الْعَدَمُ

نَالَ الْأَمَانَ مِنَ الْكُرِي

مِ وَرُبَّ مُؤْتَمَنٍ ظَلَمٌ

لَكِنَّهُ طَبَّعُ الشَّيْخِ

وَلَيْسَ مِنَ طَبَّعِ الْخَدَمِ

أَبْقَاهُ ضَعِيفًا فِي الْحَشَا

لَمْ يُبْدِ لِلضَّعِيفِ السَّامِ

حتى إذا ضاقتُ به
أحسَّ شأوه لم ينقِم
تَرَكَ المَكَانَ لِضَيْفِهِ
لَمَّا رَأَهُ قَدْ اذْدَحَمُ
وَسَمَا وَخَلَّفَ جِسْمَهُ
كَيْمَا يُقَالُ رَعَى الدَّمَمُ
ضَيْفٌ لَيْمٌ إِنَّمَا
جُبِلَ الْمُضَيْفُ عَلَى الْكِرْمِ



ورثاه بقصيدة أخرى قال فيها:

لِلنَّاسِ أَنْفُاسٌ تُعَدُّ

إِذَا انْتَهَتْ لَأْتُ سَتْرَدُّ

وَالكَأْسُ الْفَطْرُنُ الَّذِي

مِنْ قَبْلِ سَاعَتِهِ اسْتَعَدُّ

بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ ثُمَّ بَطُّ

سَاعَةِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ

وَمَشَى وَلَوْ طَالَ الزَّمُّ

أَنْ عَلَى صِرَاطٍ لَمْ يَحْدُ

مُتَّ بَعَا هَدْيِ الرَّسِّ

وَلِ بَكْلِ جِدِّ وَاجْتَهَدُ

ذَلِكَ السَّعِيدُ وَمَنْ يُرِيدُ

دُ زِيَادَةَ فَلْيَسْتَزِدْ

تَسْعُونَ عَاشَ (مُحَمَّدًا)
أَكْرِمَ بِهِ وَيَمَنُ حَمْدُ
أَفْضَى وَكُلُّ النَّاسِ فِي
حَزْنٍ عَلَيْهِ وَفِي كَمَدُ
أَفْضَى وَلَمْ يَفْرِحْ سِوَى
قَبْرُ حَوَى ذَاكَ الْجَسَدُ
مَا كَانَ فِي حُسْنِ الصِّفَاتِ
سِوَى (الْوَكِيلِ الْمُعْتَمَدِ)
وَلَكُمْ عَفَا عَمَّنْ أَسَاءَ
وَمَا أَسَاءَ إِلَى أَحَدٍ
لَمْ يَسْتَيْدُ غَضَبُ بِهِ
بَلْ حِلْمُهُ فِيهِ اسْتَيْدُ
وَتَرَاهُ أَوَّلَ مَنْ يَقُومُ
لِوَجِبِ قَدْ يَسْتَجِدُّ

وَإِذَا تَدَافَعَتِ الْجُمُوعُ
لَغِيْرٍ مَكْرُمَةٍ قَعْدُ
هُوَ وَصَلٌ كُلُّ قَطِيْعَةٍ
هُوَ وَالْقَرِيْبُ إِذَا ابْتَعَدُ
هُوَ لِلضَّعِيْفِ يُحِبُّهُ
هُوَ وَلِلْيَتِيْمِ أَبًا وَجَدُ
هُوَ لِلأَرَامِلِ فِي الدُّجَى
مِنْ دُونِ مَعْرِفَةِ سَنَدُ
هُوَ مَنْ بَسِثَ اللّٰهَ يَسُ
تُثْرُ مَنْ بَفِعَاتِهِ يُحَدُّ
وَلَكَمْ أَتَاهُ السَّائِلُونَ
فَمَا تَرَدَّدَ إِنْ وَجَدُ
فَهُوَ وَالسَّخِيُّ بِطَبْعِهِ
وَهُوَ الْكَرِيْمُ أَبًا وَجَدُ

وَبِنُّوهُ أَوْ أَحْفَادهُ

أَشْشِبَالُ مِمَّنْ ذَاكَ الْأَسَدُ

هُوَ مَنْ يُشِيرُ وَيُسْتَشِرُ

أَرُّ وَلَا يُحَالُ إِذَا عَقَدُ

هُوَ وَالْجِرَاحُ طَيِّبُهُ

جِرْحُ يُضَمُّهُ خَمَدُ

وَهُوَ الصَّدُوقُ إِذَا تَحَدَّثَ

وَالْوَفِيُّ إِذَا وَعَدُ

هُوَ مَنْ أَقُولُ الْيَوْمَ أَنَّ

غَدًا سَتَفْقِدُهُ الْبَالِدُ

هُوَ رَمَزُ كُلِّ كَرِيمَةٍ

وَهُوَ الْفَقِيرُ الْمُتَّقِدُ

ورثاه ابن أخيه الدكتور صالح بن عبدالله الفريح
بالقصيدة التالية:

بأبي نفوس للعلا تواقه
وركابها نحو العلا سباقه
يمضي الأنام وهم ماجدهم إذا
تسمو النفوس مظاهراً براقه
لكنني أرنو دواماً للأولى
راياتهم مُزدانة خفاقه
جمع كرامٍ يقطعون مفاوزاً
والقصدُ مجدٌ مذهبُ الإشراقه
وإذا ذكرتهمُ ذكرتُ إمامهم
شيخٌ ينالُ المجد في إطراقه
عمي المقدم في الكرام كأنه
نجم السماء بسيرة خلاقه

قد نال أمجاداً يتوق لمثلها
حُرُّ أبي نفسه تواقه
شيخُ تربع فوق عرش قلوبنا
والبغض أعلن في الدنا إخفاقه
شهمٌ كريمٌ بذله فاق الأولى
بذلوا الجزيل كأنهر دفاقه
يهوى العطاء ويبذل المال الذي
كل الأنام لسطوه عشاقه
يعطي الكثير ويكرم الضيف الذي
زار الحمى وبيثه أشواقه
ويقوم في كرم فيبذل ماله
لضعيف حالٍ قد شكى من فاقه
ويجوزه دوماً فيبدأ من درى
أن الخطوب لسعده سرّاقه

وكذا اليتيم وكل أرملةٍ شكت
من همّ هذا العيش أو إرهابه
فإذا بهذا الشهم بدد همّها
وبدا يسوق إليهم أرزاقه
حتى لقد شهد الجميع ببذله
والكل حرّك بالثنا أشداقه
يا ربّ أكرمّه وهوّن سؤله
وأجره من نارٍ لظى حرّاقه
ارفع منازلّه بدار كرامته
وارفع بجنّات الخلود رواقه



ورثاه الأستاذ صالح بن عطا الله الخزيم بقصيدة منها:

ولقد توفي شيخ قومٍ فاضلٍ
حُرُّ أديبٍ عارفٌ صَبَّارٌ
مِنَ بَحْرِ مَعْرِفَةِ الفنونِ قد ارتوى
فلقبِهِ ولعقلِهِ إِبْحَارُ
فَحَوَادِثُ التَّارِيخِ يَحْفَظُهَا لَنَا
ويعْلَمُ أَنَسَابِ لهُ أَذْكَارُ
ولقد تَوَلَّى هَيْئَةَ الأَمْرِ التي
بِالعُرْفِ تَأْمُرُ قَادَهَا الأَخْيَارُ
ولبَيْتِهِ بَابٌ عَلَى مِصْرَاعِهِ
اعتَادَهُ الأَضْيَافُ وَالزَّوَارُ
هَذَا الفَرِيحُ عَلَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّنَا
وَجَرَّتْ عَلَيْهِ بَجَنَّةٌ أَنَهَارُ



مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبدالله الفريح ~ في البكيرية في السابع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٤٠هـ، ونشأ وتربى في كنف أبوين كريمين وفي أسرة معروفة بالخير والصلاح.

تلقى مبادئ العلوم الشرعية على يد والده الذي عني به وحرص على تعليمه القرآن الكريم واهتم لهذا الأمر لما لحظه عليه من نباهة وحسن فهم وسرعة في الحفظ ودقة في الإدراك.

تعلم الكثير من والده، الذي كان يصطحبه معه في صغره وذلك عندما يذهب لتسيير شؤونه حرصاً منه على إفادة أبنائه، ولم يزل ابنه يثير إعجابه بنباهته وذكائه وحسن تدبيره للأمور على صغر سنه.

نشأ ~ على محبة الخير والعدل ورفض الظلم
ودفعه بكل الوسائل والطرق وهو أمر واضح في
شخصيته عند كل من عرفه، وهو كذلك أمر
مندوب إليه شرعاً فالله ﷻ أمر بالعدل ونهى عن
الظلم وحرّمه على نفسه وجعله بين الخلق محرماً،
وهذا الأمر دفعه في مرات كثيرة لأن يقوم بالوساطة
والإصلاح ووضع الحق في نصابه والوقوف مع صاحبه.

ومن شعره في هذا المعنى:

قالوا هواك؟ قلت أنا أهوى العدالة

هي هواي ومُنوتي لو تسود

هي الأساس ولا شيء يصلح بداله

لعل من عافه عشا للفهود



حياته العلمية :

بدأ ~ في طلب العلم خارج البلد في سن مبكرة وذلك عندما أرسله والده إلى الرياض، وهو إذ ذاك في العاشرة من عمره، وقد خرج من القصيم برفقة قافلة من المسافرين، وحيداً ليس معه من أهله ولا من أقاربه أحد، كان ذلك في عام ١٣٥٠هـ، وكانت الرياض في تلك الآونة تزخر بالكثير من العلماء وبها حلقات العلم التي يؤمها الطلاب بالعشرات والمئات.

وصل إلى الرياض بعد عناء طويل ومشقة بالغة، نظراً لصغر سنه واعتباراً لحاله في السفر، فتوجه إلى حي دخنة (غرب الرياض قديماً وفي وسطها حالياً) ونزل فيه، لميزة تفرّد بها آنذاك إذ يقطنه العلماء من آل الشيخ وغيرهم، كما أن جميع طلاب العلم كانوا ينزلون فيه، وذلك لقربه من مجالس العلماء وحلقات

العلم، و دخنة في ذلك الوقت تعتبر التجمع الرئيسي للعلماء وحلقات العلم والتدريس^(١)، وكان مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف^(٢)، والمعروف بمسجد دخنة- أشبه ما يكون بالجامعة العلمية المتخصصة في علوم الشريعة وذلك بسبب عطائه العلمي، ونشاطه الدعوي على مستوى البلاد النجدية، وقد أم المصلين في هذا المسجد وأقام الدروس الشرعية فيه عدد من أبرز رجال الدعوة في هذه البلاد منهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ^(٣)، والشيخ المفتي

(١) انظر: معجم مدينة الرياض، خالد السليمان، ص ٣٦ .

(٢) أنظر ترجمة الشيخ ص ٩ .

(٣) الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد عام ١١٩٣هـ في الدرعية وعاش فيها حتى عام ١٢٣٤هـ حيث رحل إلى مصر فبقي فيها حتى عام ١٢٤١هـ وبعد ذلك عاد إلى الرياض وعاش فيها حتى توفي عام ١٢٨٥هـ، وهو من كبار علماء الدعوة، خلف جده الإمام محمد بن عبدالوهاب وقاد الدعوة الإصلاحية حتى لُقّب بالمجدد الثاني.

محمد بن إبراهيم آل الشيخ^(١) وبقي فيه الشيخ محمد
نحو خمسين سنة، إماماً وخطيباً ومدرساً ومفتياً^(٢).

وفي ذكر دخنه وذكرياتها يقول:

وبدارُ (دخنة) دار الإخوان جتني

مصاعبٍ ما خلتها كان تاتي

وكانت الدور التي ينزل فيها طلبة العلم تسمى
(دار الإخوان) وقد سكن ~ فيها مع أناس لم
يعرفهم من قبل، جاؤوا من مختلف البلدان وتركوا
أهاليهم رغبةً في تحصيل العلم والتفقه في الدين،
فاجتمعوا هناك وأصبحوا كالإخوة، وكان أكثر
وقتهم في المسجد حيث يتعلمون ويدرسون علوم
الشريعة، التي بها يتوصل العبد إلى طاعة ربه وعبادته

(١) أنظر ترجمة الشيخ ص ١٢.

(٢) انظر: مجلة الدارة، العدد ٢، السنة ٣٠، عام ١٤٢٥هـ، المظاهر العلمية
لعاصمة الدعوة السلفية وآثارها، د. علي بن عبدالعزيز الشبل، ص ١٨٥.

كما شرع ﷺ.

ومن شعره:

مِن طَاعِ رَبِّهِ سَيِّدِ بَيْنِ الْأَسْيَادِ
تَاتِي لَهُ الدُّنْيَا وَلَوْ مَا سَعَى لَهُ
سَعَادَتُهُ تَاتِي عَلَى رُوسِ الْأَشْهَادِ
مَا ضَرَّهُ الْحَاسِدُ وَلَا الشَّرُّ نَالَهُ
وَمَنْ لَا يَسُوسُ النَّفْسَ بِالصَّبْرِ وَجِهَادِ
يَارِدُ عَلَى مَيِّ تَكْدِرُ زَلَالَهُ
يَشْرَبُ عَلَى حَرِّ الظَّمَا كُلِّ مَا رَادُ
فَوْزَ السَّلَامَةِ عَرَقَلَتْ لَهُ حِبَالُهُ



وبعد فترة من الزمن قضاها في دخنة، انتقل
ليسكن مع خاله الشيخ عبدالله العواد^(١) - وكان
رجلاً كفيفاً - فلزمه وصار يأخذ بيده ويرشده
ويتلقيان العلم معاً على العلماء، وقد مكث في
الرياض مدة أدرك من خلالها قسطاً من العلم والفقه
وظفر من مخالطة العلماء على منهجية علمية في التلقي
والاطلاع وتمييز المعلومات والأخبار، ثم كانت له بعد
ذلك عناية كبيرة بالتفسير والفرائض.

وقد امتدت إقامته في الرياض لثلاث سنوات
قضاها في طلب العلم ومجالسة العلماء وتعلم فيها
الكثير من العلوم، وبعدها رجع إلى البكيرية. وفي
عام ١٣٥٥هـ وبعد سنتين من عودته من الرياض رحل

(١) الشيخ عبدالله بن عيد بن عواد العواد الطائي، طلب العلم في الرياض
ولازم عدداً من العلماء، ثم تولى التدريس في قصر الملك عبدالعزيز، توفي
~ في ربيعان شبابه عام ١٣٨٥هـ تقريباً.

إلى مكة المكرمة حاجاً مع حجاج البلد، سائراً على قدميه.

وله في حجه هذه قصة طريفة، وهي أنه لم يكن مقرراً له أن يذهب إلى الحج ضمن أفراد الأسرة الذين سيذهبون، فوالدته وأخوه محمد وإحدى أخواته هم من سيحج، أما هو فأرادوا له أن يبقى في البكيرية، ولكنه رأى رأياً آخر وعزم على الذهاب إلى مكة وأداء فريضة الحج معهم.

فتتبعهم حين رحلوا وأخذ يراقبهم من بعيد وهم لا يعلمون بأمره حتى ابتعدوا عن البكيرية وأصبح أمر إعادته مستحيلاً، عندئذ خرج عليهم فلم يكن لهم بدٌّ من أخذه معهم.

وعندما وصل الحُجاج إلى البلد الحرام ومكثوا أيام الحج كان معهم، فلما أتموا حجهم وأخذوا في ترتيب أمر العودة لم يرغب في العودة، وإنما أحب

البقاء في مكة ورغب في الجلوس في الحرم المكي
وحضور حلقات التدريس فيه، فبقي على ذلك زمناً،
ينهل من معين العلم ويجالس العلماء.

ثم أخذ يسعى في كسب رزقه، وكان يبذل
الجهد الكبير في سبيل الحصول على عملٍ ملائم،
فلم يكن ذلك يسيراً في ذلك الزمن الصعب، ولسان
حاله:

اللي نبيه عيّا البَخْتُ لا يجيبه
واللي بينا عيّت النفس تبغيه



حياته العملية :

بقي في مكة المكرمة على ذلك الحال، يعمل أياماً ليصرف على نفسه، ثم يبقى في الحرم المكي الشريف ليطلب العلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وفي ذلك العام أمر الملك عبدالعزيز ~ بإنشاء المدرسة العسكرية في مكة المكرمة، فافتتحت أواخر عام ١٣٥٥هـ، فذهب إليها وسجّل اسمه في أول دفعة من طلابها، فدرس ~ العلوم العسكرية، وكان نابغاً فيها، وتخرج بعد ذلك ليصبح ضابط صف بالرهط الثالث في الجيش السعودي، وكان ذلك في عام ١٣٥٦هـ، وامتدت فترة بقاءه في مكة المكرمة سنة ونصف تقريباً، قضاه في طلب العلم ثم في الدراسة العسكرية وبعد ذلك في العمل العسكري.

ومن شعره:

أرضي وسبعة ضاقَ فيها مجالي
فكّرتُ في أرضٍ ورا الحدِّ من غادُ
لكونٍ طيرٍ راغِبٍ بالأعالي
في قارةٍ ما حولها الصيدُ ينصادُ
أشربُ من العذب العذبيّ الزلالِ
وأطعمُ طعامِ يمهّ الروح تتقاذُ
لكونٍ حُرِّ بالفضا ما يبالي
لا ضاقت الدنيا على بعض الأفرادُ



وفي عام ١٣٥٧هـ حصل على ترقية إلى رتبة
(عريف) في شمال المملكة بمركز (ذات الحاج) (١)،
فرحل إلى هناك وكانت تجربة جديدة عليه، مليئة
بالمفاجآت والأحداث الغريبة، وقد قاسى فيها صعوبة
العيش والغربة والعمل المضني.

(١) ذات الحاج: بفتح الحاء بعدها ألف فجيم مخففه، قرية بمنطقة أمارة
القريات، كان بها مركز ثم نُقل المركز إلى حالة عتّار. المصدر: المعجم
الجغرافي للبلاد العربية السعودية، حمد الجاسر، ص ٢٧٧، القسم الأول،
ط ١، ١٣٩٧هـ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

وَفِي ذِكْرِيَاتِهِ هُنَاكَ يَقُولُ وَهُوَ يَتَحَسَّرُ عَلَى فِرَاقِ
مَكَّةَ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَجَالِسِ الْعِلْمِ:
عُقُودٍ مَضَتْ مَا بِهِ مِنَ الْكَسْبِ بَارَهُ
لَا رَاتِبٍ يَسُوءِي وَ لَا هَوْبٍ مَصْرُوفٍ
سَادَ الزَّمَانَ الَّذِي تَوَارَى مَرَارَهُ
مَرَارَةً بِالذُّوقِ وَالسَّمْعِ وَالشُّوفِ
كَسُورٍ تَوَالَتْ مَا لَهَا مِنْ جِبَارِهِ
أُعِيَتْ بِهَا الْأَطْيَابُ وَالْأَصْلُ مَعْرُوفٍ
غَيْرِ الْإِلَهِ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَسَارُهُ
مَا شَيْءٌ يَجْبِرُنِي وَلَوْ كَانَ مَوْصُوفٍ



وقد بقي ~ في ذات الحاج عامين كاملين،
وبعدها حصل على ترقية إلى رتبة (نائب)^(١) في
مركز(حقل)، وكان ذلك في عام ١٣٥٩هـ.

كان شمال البلاد آنذاك يكاد يكون معزولاً
تماماً عن عاصمة البلاد وبالتالي عن نجد بكاملها،
فصحراء النفود الكبير تُشكّل حاجزاً طبيعياً يحول
بينهما، يُضاف إلى ذلك عدم وجود مدن كبيرة بحجم
الرياض وجدة ومكة والمدينة، فالمدن الصغيرة والقرى
هي السمة البارزة في التركيبة الجغرافية في الشمال
آنذاك، وكان انتقاله إلى هناك تحولاً كبيراً في
حياته، فالمجتمع والبيئة والعادات مختلفة عما عرفه في
بلده وفي ما مضى من عمره.

(١) رتبة (نائب) رتبة قديمة تم تعديلها إلى رتبة (وكيل رقيب).

ومن شعره:

غادرتُ أرضي طالبٍ للمعالي
ومن غير حقّه طالب الریح خسرانُ
يوم أدركتنا عاديّات الزمانِ
في ساحةٍ ما بين مقنا وعمّان^(١)



(١) مقنا: بلدة صغيرة في شمال غرب المملكة، وعمّان عاصمة الأردن.

كان انتقال عمله إلى الشمال النائي - في مراكز الجوف وحقل وذات الحاج والنبك - سبباً في أن ينقطع عن أهله وأقاربه، فبُعد المسافة ووعورة الطريق وندرة وسائل النقل الحديثة - حيث لا يزال الناس يستخدمون الدواب في تنقلاتهم وأسفارهم - يُضاف إلى ذلك عدم وجود وسائل الاتصالات الحديثة، كانت تلك الأمور تقف حائلاً بينه وبين التواصل مع أهله، وكان كل من يبتعد عن بلده مسافة كبيرة في ذلك الوقت يكون منقطعاً عن أهله تماماً، فلربما مرض أو مات، وربما تزوج وأنجب وأهله لا يعرفون شيئاً من أخباره ولا يعلمون بأحواله وما يجري عليه.



وفي الفترة ما بين ١٣٥٧هـ إلى ١٣٦٨هـ وهي الفترة التي عمل فيها في المناطق الشمالية، وكانت الاتصالات-كما أسلفت- معدومة تقريباً، إذ لا هواتف أو برقيات، والبريد ضعيف جداً فنادرًا ما يتوفر، أدى ذلك إلى انقطاع أخبار الوالد ~ عن أهله في القصيم، وطال ذلك الانقطاع جداً، حتى جاء ذلك اليوم الذي وصلت فيه رسالة من القصيم...

وكان المرسل هو والده الشيخ عبدالمحسن، يسأله فيها عن حاله وعن غيبته الطويلة، ثم يختم رسالته بتساؤل حزين فيقول: "ونحن لا ندري يا ولدي أحي أنت أم ميت؟ فإن كنت حياً فأرسل لنا وطمئنا على حالك".

ويبدو أن هذه الرسالة قد أثرت فيه ~ وهزت
مشاعره وأثارت أشواقه إلى أهله ، وفي ذلك يقول:

حيّ الكتاب اللّي لفيّ بالتحيات
حيّّه وحيّ اللّي بعثّ بالوصاة

يا مرحبا به عد نبت النباتات
وإعداد ما أينع قويّ النبات

حيّّه عدد ما غاب فوق السماوات
وما بالبحر والبرحيّ وموات

ساعة قرينه ماج بالفكر موجات
هيّج شجونٍ بالحشى كامنات

زود حنيني للأهل والقربات
وأرض بها أمضيت مقدم حياتي

وقت الصبا بأطرافها جلت جولات
تذوّقت دبح مياهها والفترات

فيها حبيبٍ له رفيع المقامات (١)
ودّي أزوره قبل فـوت الفـواتِ
وأسعد بشوفه بالشرف والمباهاة
وأرجي به المولى يزيد احسناتي



(١) يقصد والده الشيخ عبدالمحسن - رحمهما الله.

ثم إنه عزم على زيارة والده وأهله، وكان حريصاً على الاستجابة لطلب والده في أن يطمئنهم على نفسه، ويطمئن هو عليهم، فطلب إجازة من عمله لیسافر إلى القصيم ویزور والديه وأهله وأقاربه، فمُنح إجازة لمدة شهر، ثم أخذ يستعد للسفر.

فكّر أولاً في الطريق الذي سيسلكه، فإما إلى الجنوب مباشرة حيث صحراء النفود الكبير، فيجتازها إلى حائل ثم إلى القصيم، وإما إلى الغرب نحو تبوك ثم إلى الجنوب نحو المدينة المنورة ثم شرقاً نحو القصيم..!!

والفرق واضح بين الطريقين، فعبر صحراء النفود، الطريق مختصر والخطورة عالية جداً، فالصحراء قاحلة ولا يسكنها بدو ولا حضر، والقوافل لا تعبرها إلا شتاءً، أما في الصيف فهي مهلكة لا يكاد ينجو منها أحد.

والطريق الآخر طويل لكنه آمن، فهو يمر
بالقرى وموارد الماء، والمسافرون يمرون به طوال العام.
لكن الوالد حين عزم على السفر اختار الطريق
المختصر وقرر عبور النفود الكبير وحده، نظراً
لشوقه الكبير لأهله من ناحية، ولقوته وشبابه وثقته
بالله ثم بنفسه من ناحية أخرى.

ومن شعره:

ما ساورنُ في يومٍ شكٍ بمولاي
ولا ضنيتُ في ربي ردي الضنون^(١)
ولا رابني يوم طغئت فيه بلواي
بعون ربي كل شيءٍ يهون

(١) ما ساورنُ: أي لم يساورني الشك.

ذهب ~ إلى السوق ليشتري راحلةً وزاداً لرحلته الطويلة المحفوفة بالمخاطر، فوجد راحلة جيدة عند رجل من أهالي البكيرية يدعى (إبراهيم بن سليمان النملة) فدار بينهما حديث عن أمور كثيرة ، منها وجهته وطريق سفره، فما كان من إبراهيم - بعد أن علم بطريق السفر- إلا أن حذره من سلوك هذا الطريق الخطير المقفر، وحثه على السفر مع القوافل التي تأتي بين الحين والآخر، وأكد له أن أحداً لا يستطيع عبور النفود في الصيف، وإنما شتاءً ومع القوافل، ثم حذره من قاطع طريق معروف كان يترصد بالمسافرين عبر الصحراء فلا يكاد ينجو منه أحد.

ويصور لنا ~ هذا الموقف بأبيات كتبها
فيما بعد ، يقول فيها :

(النملة) اللي باغ مّني رحولي
حدّرنني المضماة والموت قِدام

قال المفازة غالب ما تحولي
دون الذي تهواه لو كنت مِقدام

زودِ على قِـل الموارد محولي
كم واحدٍ قبلك رقدْ به ولا قام

هذا مع انك في وهاده جهول
سموم قبيضِ وافق اليوم حمّام^(١)

كم خاز فيها من هجين الذلول
استسلمت يوم الحفا صاب الأقدام

(١) القيض: شدة الحر.

فِيهَا مِنْ الْأَخْطَارِ شَيْءٌ يَهْوِلُ
زُودٍ عَلَى الْأَخْطَارِ مَا أَوْى لِلْإِجْرَامِ



فلم يغير ذلك التحذير شيئاً لديه فقد عزم على السفر وركوب الخطر من أجل الاستفادة من هذه الإجازة التي منحت له وهي أيام معدودة فلا بد من اختصار الوقت والطريق داخل الصحراء.

انطلق في طريق سفره الذي حدده لنفسه، وحيداً.. يقوده شوقه وأمله، وذكريات طفولته، كان لا يأكل من الطعام إلا ما يسد رمقه ولا يشرب من الماء إلا ما يبقيه حياً، حتى لا يستنفد ما لديه من ماء، وكان نفاذ الماء في تلك الصحراء لا يعني إلا شيئاً واحداً هو... الموت.

مرّت ساعات طويلة من السير المرهق في الليل
والراحة القصيرة في النهار، كل ما حوله هو صحراء
لا نهاية لها، مقفرة خالية، وكل ما يسمعه هو صفير
الرياح، لا بشر ولا شجر ولا حيوان، سكون رهيب في
صحراء قاسية.

وفي اليوم الثاني من مسيرته وفي عمق الصحراء
التقى برجل مسلح، يمتطي راحلته منفرداً، ليس معه
أحد، كان هذا الرجل ذا مظهر مريب وعندما اقترب
منه ~ تذكر نصيحة (إبراهيم النملة) الذي حذره
من قاطع الطريق، فلماً وقف عنده ونظر إليه وتمعّنه
عرف أنه قاطع الطريق، وذلك بحكم عمله في
مطاردة المهريين وقطّاع الطريق، فلم يكن الأمر صعباً
عليه.

أظهر الرجل رغبته بالمصاحبة في هذه الرحلة،
فترافقا وكل واحدٍ منهما يرقب الآخر ويحذره،

وكان ~ لا يترك سلاحه بعيداً عنه تحسباً لأي طارئ، فلما مضى بعض الليل أخذ ~ يعد وجبة العشاء وعينه لا تغفل عن صاحبه، فلما تناول الطعام، دب اليأس في قلب ذلك الرجل، وعلم أنه لن تواتيه فرصة يُغفل فيها عنه، ورأى من حزم رفيقه وحذره ما دفعه إلى الاستئذان بالرحيل، فمضى في سبيله.

ولما ابتعد قاطع الطريق قام ~ إلى راحلته وانطلق بها سارياً طوال الليل، إذ خشي من عودة ذلك الرجل ليهاجم عليه وهو نائم، فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس - وكان قد ابتعد كثيراً - لاذ بظل شجرة وحيدة وقفت في وسط الصحراء كأنها تناديه لينام ويرتاح بظلها من عناء البارحة.

وعندما أدبر النهار وأقبل الليل كان ~ قد أخذ قسطاً كافياً من الراحة، فانطلق يواصل مسيره بحماس ونشاط كبيرين، فلم يتوقف عن المسير حتى

أصبح الصبح وطلعت الشمس، في ذلك الوقت كان قد وصل قرب جبل، فاقترب منه فإذا فيه غار كبير، فأقبل على الغار، الذي قيل إنه كان محطة للقوافل أيام الشتاء، فرغب في النزول فيه للراحة، فلما اقترب منه .. حدثت له مفاجأة رهيبية، إذ خرج عليه ثعبان عظيم لم ير مثله قط، وصفه لي فقال: " كان ينظر إليّ بعينين كبيرتين صفراوين كأنهما جنيهات ذهبية"

وقفَ ~ في مكانه وأخذ يفكر في الخروج من هذه المواجهة سالماً، فهو الآن في مأزق كبير، فإن تراجع لحق به الثعبان، وإن رماه فقد يخطئه، ثم لا يجد الفرصة الكافية لإعادة تجهيز بندقيته ذات الطلقة الواحدة.

أخذ كل واحدٍ منهما يحملق في الآخر، ثم قرر ~ أن يستعين بالله ويرمي الثعبان، فتناول سلاحه

وصوبه تجاه الثعبان ورمى باسم الله، فأصابته تلك
الطلقة إصابة دقيقة مزقت جسم الثعبان فمات، ثم
أقبل ~ إلى داخل الغار فدخله واستراح فيه ذلك
اليوم.

الليلة التالية كانت معتمةً جداً، اشتدت فيها
رياح الصحراء حاملة معها الغبار، وخفتَ فيها ضوء
القمر حتى لا يكاد المرء يرى فيها يده، في تلك
الأجواء كان يمتطي ناقته، وكانت تسير بهدوء
وتقطع الصحراء الشاسعة الساكنة، وفجأة.. لم
يشعر إلا وقد هوتْ الناقة في جرفٍ من الأرض وسقط
هو معها ليتدحرجا على ذلك المنحدر الكبير، فلماً
استقر نهض سريعاً يريد الناقة ويبحث عنها، فوجدها
غير بعيدة عنه، فأخذ يتلمّسها بيديه ويتفقد أطرافها
خشية أن يكون أصابها كسرٌ ما - فمصيره في هذه
الصحراء القاحلة مرتبط بمصيرها - ولكن من رحمة

اللّٰه لم يصبها أذى فاستتهضها ولم يمتطها حفاظاً
على نفسه وراحلته من جرفٍ آخر أو أي أذى محتمل.
أخذ يقود ناقته ممسكاً بزمامها واستمر على
هذا جزءاً من الليل، وبعد ساعات من السير، سمع
فحيح أفعى بالقرب منه، وهو لا يراها لشدة الظلام،
فأعاد النظر في مسألة سيره على قدميه، وامتطى
ناقته، ومضت تلك الليلة دون أن يصيبه أذى بفضل
اللّٰه.



وعن تلك الليلة الرهيبة يقول:

سَرَيْتُ فِي لَيْلٍ شَدِيدٍ ظَلَامُهُ
حُلُكُ الظَّلامِ وَجَنُّ فِيهِ الجَنِينِ
أَجَلِبُ عَلَيَّ اللَّيْلُ وَأَجَلِبُ عَسَامُهُ
وَأَمْسَيْتُ غَابَتْ عَن عَيُونِي يَدِينِي
غَابَ الجَمَلُ ثُمَّ غَابَ عَنِّي سَنَامُهُ
لَجَّ الظَّلامُ اللَّيِّ سَتَرَ مَا يَبِينِ



وبرغم أنه لا يأكل ولا يشرب إلا قليلاً فقد كانت الأيام الطوال في الصحراء كفيلاً باستنفاد كل ما لديه من الماء.

نفد الماء، ووقع الأمر الذي يخشاه المسافرون في الصحراء، فنفاذ الماء يعني نفاذ الطعام، حتى وهو موجود، فلا قيمة له، لأنه إن أكل زاد عطشه، لذا كان عليه أن يمتنع عن الأكل تماماً.

ومع أن خطة سفره تقضي بأن يسير ليلاً ويرتاح نهاراً، ليحمي نفسه من حرارة الشمس وأشعتها الحارقة، إلا أنه واصل المسير ليلاً ونهاراً، لعله يجد بئراً أو بلداً أو مسافراً..!! فلم يكن شيئاً من ذلك، حتى أنهكه الظمأ والجوع، وخارت قواه وزاغ بصره، فاتجه إلى جبل في طريقه وترجّل عن راحلته وربطها ربطاً غير محكم، فقد تراخى جسده وضعفت يداه،

وكان يرى أن حتفه هناك، وأنه هالكٌ لا محالة، فهو
في حال أقرب إلى الموت منه إلى الحياة.

وجد في ذلك الجبل غاراً، رأى فيه قبراً محتمماً
له، فكّر في دفن نفسه، حتى لا تنهش السباع جسده
بعد موته، فدخل إلى الغار وحضر فيه حفرةً، ثم
استلقى بداخلها، وأمال على نفسه التراب بيمينه حتى
دفن جسمه كله إلا يده اليمنى فلا حيلة له في دفنها،
وأبقى أنفه فلم يدفنه، ثم أخذ يتنفس طعم الموت.



كانت الشمس قد ألهمت الصحراء عندما ظن
~ أن وفاته قد حانت فدخل ذلك الغار وهياً لنفسه
منزله الأخير في هذه الدنيا.

قال لي ~ : " وضعت نفسي في القبر قبل غروب
الشمس ثم انتهى كل شيء ظننت أنني قد مت ،
وغربت الشمس ثم مضى الليل بأكمله وعندما طلع
الصباح من اليوم التالي وارتفعت الشمس في كبد
السماء ودخل ضوءها وحرّها إلى الكهف انتبهت
حينها ، و كنت قد نمت أكثر من خمسة عشر ساعة
متواصلة لم أتحرك فيها حركة".

استيقظ وقد أحسّ بشيء من النشاط ،
فاستجمع قواه ونهض من قبره ، ثم تنهى إلى مسامعه
صوت يأتي من خارج الغار ، فلمّا تأمّله فإذا هو صوت
الناقة ، وإذا بها تحن ، فخرج إليها ، وكانت هناك
مفاجأة عجيبة بانتظاره.

وجد خطام الناقة قد انحل، وأصبحت حرة
لتذهب، لكنها لم تفعل، بل وقفت أمام الغار تنتظره
وتحنُّ لأجله، فتعجب منها أشد العجب، لأنه يعلم أن
ما نالها من الجوع والظمأ أكثر بكثير مما ناله،
كما أنه لا يوجد بينهما ألف وعشرة، فقد اشتراها
منذ أيام، فكان حرياً بها أن ترحل لترد الماء وترعى
الكأ.

وفي تلك الواقعة له أبيات منها:

لقيت رحلي بالجوار إحترتني

محبوسةٍ رغم الضما بالفلاة^(١)

لا حابسه ولفٍ ولا هي اولفتني

مفلوتةٍ من قيدها انفلات

(١) احترتني: انتظرتني، رحلي: راحلتي.

ولكن الناقة رغم ذلك لم تبتعد عن مدخل الغار، فشكر الله وحمده، ثم أخذ بخطامها وانتظر غروب الشمس، فلما غربت ورحل النهار بأشعته المتوهجة، وبدأت نسائم المساء الهادئة بالهبوب، قام فحمل أمتعته على ظهر الراحلة ثم ركبها وانطلق، وكان الظمأ والجوع والإرهاق هم رفاق دربه تلك الليلة وقد أخذوا منه كل مأخذ.

كان القمر بديراً في تلك الليلة بازغاً في السماء، ينير الصحراء بضوءه الخافت الجميل، قال ~ " :
وأثناء سيري في تلك الليلة توقفت الناقة فجأة.. والتفتت تنظر جانباً، فذهلتُ من تصرفها المفاجئ والغريب!! ثم أخذتُ أمعن النظر في ناحية نظرها فرأيت لمعانا على الأرض، فانطلقت نحوه، وعندما اقتربت منه وجدت ماءً على صفاة^(١)، فنزلت عن الراحلة - غير مصدق لما

(١) الصفاة: الصخرة المساء.

أرى- ثم برّكتُ الناقة وعقلتها، وحملت إناءً صغيراً
مع القربة التي كانت قد يبست من شدة الحر،
فشربتُ قليلاً من الماء، ثم أخذت أبلُ القربة وأرطبها،
ثم جمعت الماء فيها وأحكمت ربطها، وبعد ذلك
حللت عقال الناقة لتشرب ما بقي من الماء".

الحمد لله ... ذهب الظمّ وأبتلت عروقُ أشرفت
على الجفاف، فنام صاحبها نوماً هنيئاً تلك الليلة،
بعد أن حمد الله الذي أنقذه من الموت.



وعند الصباح استيقظ وأخذ يجمع الحطب ليعد
طعاماً يتناوله- فهو لم يذق طعاماً منذ أن نفذ منه
الماء- وعندما ابتعد قليلاً رأى أمراً عجيبيّاً.

الماء الذي وجده بالأمس كان في مكان محدود
..!! وأما ما جاوره من الأرض فقد كان جافاً تماماً لم
يأته مطر !! وكان من الغريب جداً أن يهطل المطر في
الصيف، وفي تلك المنطقة القاحلة تحديداً ..!!

فكان الله ﷻ أمطر تلك الأرض حتى يسقيه
وينقذه من الموت !!



تناول طعامه وركب راحلته مكماً المسير إلى
القصيم، ولم يكن ذلك الماء الذي جمعه من على تلك
الصفاء كثيراً لذا فإنه ما لبث أن نفذ ثانية، ولكن
على مقربة من بئرٍ معروفة على تلك الطريق، فأكمل
المسير حتى بلغ تلك البئر وهو على قدرٍ كبيرٍ من
الظماً والتعب فهو لم يرتو من الماء منذ مدة، ودابته
كذلك لم تذوق طعم الماء منذ أن شربته من على
الأرض قبل أيام.

وصل إلى البئر فتهللت أساريره وفرح بالنجاة،
ولكنه عندما أطل داخل البئر اختفت الابتسامة
وتكدّر خاطر، فقد كان البئر عميقاً وخالياً من
أي وسيلة لجلب الماء، ومن أي وسيلة للنزول، فلا
يوجد دلو ولا حبل ولا سلم، وليس بالقرب من البئر أي
شيء يمكن أن يساعد في النزول وجلب الماء، فأصبح
الوضع سيئاً للغاية، فما فائدة البئر إن كنت لا
تستطيع الوصول إلى الماء الذي بداخله!!

مكث ~ يفكر قليلاً، ثم أخذ يجمع ما معه من حبال وما هو في حكمها، ويربط بعضها ببعض ولكنها كانت قصيرة فلم تصل إلى قاع البئر ولم تقترب من الماء.

وبعد تفكيرٍ ومحاولات وجد أنه لا سبيل إلى الماء سوى أن ينزل بنفسه متشبثاً بجوانب البئر ليروي ظمأه ويملاً قريته.

أخذ في النزول داخل البئر وهو ينشب أصابعه في الفتحات الصغيرة بين أحجار البئر، وقد حمل قريته على ظهره، كانت يدها ترتجفان من شدة الإرهاق والتعب حتى وصل إلى أسفل البئر فوجد أن قاع البئر نصفه ماء ونصفه الآخر صخرة كبيرة، فجلس فوق الصخرة، وأخذ يشرب حتى ارتوى، ثم ملأ قريته بكاملها ثم نهض وربطها على ظهره، وأخذ يتسلق إلى خارج البئر.

كان الصعود أصعب بكثير من النزول،
فالقربة التي على ظهره مليئة بالماء وثقيلة، وجسمه قد
فتربعد أن ذاق الماء واتوى، لكن لم يكن هناك خيار
فلا بد من الصعود.

بدأ ينشب أصابعه مرة أخرى بين الأحجار
ويحاول أن يمكن يده منها ثم يدفع بجسمه إلى
الأعلى وبكل عناء شرع في الصعود حتى انتصف في
طريق الصعود حينها توقف ولم يستطع المواصلة
وأحس أنه سيسقط من شدة التعب. قال ~ : " عندها
أخذت أنظر إلى أسفل البئر لأرى أين سأسقط ؟ على
الماء أم على الصخرة".

كانت الناقة في تلك الأثناء تدور حول البئر
،وتتنظر داخله، وتصدر صوتها الحزين، تحن إلى
صاحبها وتفقدته، ورغم الصعوبة والعناء استجمع
~ قوته واستنفذ طاقته مجتهداً في الصعود،

وبعون من الله استطاع أن يخرج من ذلك البئر.
وعندما خرج ألقى بجسده إلى جانب البئر
والتقط أنفاسه وأخذ قسطاً من الراحة وهو غير
مصدق أنه خرج من البئر سالماً غانماً، ثم نهض وسقى
راحلته وأكمل مسيره.



وقد وصف هذه الحادثة في إحدى قصائده فقال:

غِب الظما وردتُ بِبِيرِ طَوِيلِهِ

أَدْلَيْتُ دَلْوِي مِيرِ قَصْرَتِ حَبَالِهِ

نَعَيْتُ نَفْسِي مِنْ ظَمَاهَا عَلَيْهِ

تَرِدُ الْمَهَالِكُ لَوْ بَدَأَ لَهُ زَوَالُهُ

نَزَلْتُ فِيهَا بَعْدَ فَقْدِ الْوَسِيلِهِ

يَوْمَ ارْتَوَيْتِ وَقَرَّبْتِي طَابَ فَالُهُ

صَعَدْتُ مِنْهُ بِحَمْلٍ مِيٍّ ثَقِيلِهِ

رَغِمَ السَّلَامَةُ فِيهِ صَعِبِ مَنَالِهِ

كَدَّتْ أَتْرَدِي بَعْدَ حَبْلِ وَحْيَالِهِ

لَوْلَا الْعِنَايَةُ مِنْ عَزِيزِ الْجَلَالِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا كَرِبَ يَزِيلِهِ

وَيَبْدُلُهُ بِالْيَسْرِ يَجْرِي بَدَالِهِ



لقد أصبح الآن على مسافة قريبة من القصيم، وربما بقي له عدة أيام ليصل إلى بلده، لم يواجه في هذه الأيام مصائب تذكر- طبعاً غير مصيبة السفر نفسه- فدخل القصيم وتوجه نحو البكيرية حيث أسرته، لكنه لم يجد أحداً في المنزل، فأخبر أن والده في جامع الهلالية^(١) - وكان قد انقطع فيه للعبادة والتدريس- فذهب إلى الهلالية وقصد الجامع فوجد والده هناك، فدخل عليه وقبّل رأسه ويده

(١) الهلالية: من محافظات منطقة القصيم وهي أقدم حاضرة فيه، ويرجع تاريخ إنشائها إلى ما قبل الإسلام، أصبحت الآن ملاصقة للبكيرية، وكانت عبارة عن رياض خصبة وفيرة المياه تحيط بها رمال النفود، وعندما نشأت البلدة تم تأسيس الجامع المذكور في وسطها، وذلك في مطلع القرن الحادي عشر الهجري ولا يزال قائماً على أساسه الأثري القديم، ويعد هذا الجامع معلماً مميزاً وفريداً لهذه المحافظة، وهو مكتمل الخدمات ولا يزال على شكله الأول وأساساته القديمة، وقد تولى الإمامة والخطابة في هذا الجامع الشيخ عبدالمحسن بن محمد الفريح وعقد حلقات علمية لتدريس القرآن والحديث والعقيدة.

واحتضنه، وكان بينهما لقاء لا يوصف.

وحكى لوالده قصة سفره العجيبة، فلما أخبره بقصة الناقة وما كان منها عند الغار، قال له: "يا بُني لا شك أن الله ﷻ قد حبسها لك، فليس هذا من طبع هذه البهائم، فإنها ترد الماء الذي وردته قديماً وتعرف طريقها إليه".

ثم أخبره أن والدته في البدائع^(١) عند أخته خديجة^(٢) فتوجه فوراً إلى هناك، يسبقه شوقه

(١) البدائع: تقع في وسط منطقة القصيم وعلى ضفاف وادي الرمة، وهي مدينة زراعية لوفرة المياه الجوفية وجودة التربة ووجود المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية، وتعتبر محافظة البدائع من المحافظات الجديدة حيث نشأت عام ١٢٩٩ هـ حينما انتقل إليها بعض أهالي الخبراء، ثم تبعهم آخرون من الهلالية ورياض الخبراء والبكيرية.

(٢) خديجة بنت عبدالمحسن بن محمد الفريح، ولدت عام ١٣٢٧ هـ في الهلالية، ونشأت وتعلمت في البكيرية ثم أصبحت من المعلّيات الأوائل في القصيم، ومن رائدات تعليم البنات قبل إنشاء الرئاسة، وهي زوجة

الكبير، فلماً وصل طرق باب الدار.

جاء الرد من الداخل: مَنْ ؟

فأجاب: أنا عبد الله.

جاءت أخته مسرعة وفتحت الباب.

فلما نظرت إلى وجهه -الذي عبثت به شمس الصحراء ورياحها حتى غيّرت ملامحه- استتكرته وأغلقت الباب بقوة قائلة: لا أنت لست عبد الله. وتركته خارج المنزل، فأخذ يؤكد لها أنه أخوها ويطلب منها فتح الباب، فلم تستجب له، وتناهى إلى مسامع والدته صوته فعرفته، وقالت -ووجهها يتهلل

= الشيخ إبراهيم بن سليمان الوابل ~ ، ولها ذرية مباركة صالحة، توفيت في محرم عام ١٤١٢هـ بالرياض ودفنت في البدائع. انظر: مشاهير الجزيرة العربية من عام ٧٠٠هـ إلى عام ١٤١٧هـ، عبد الكريم بن حمد الحقييل، ج ١، ص ١٦٤. وأنظر أيضاً: كتاب (البدائع)، عبد الله بن محمد العبيد، ص ١٢٣.

فرحاً وسروراً- : هذا عبدالله افتحي له الباب.. افتحي الباب.

ثم ذهبت بنفسها مسرعة نحو الباب لتفتحه، وتلقف ابنها بأحضانها، ولم تتأمل ملامحه، فقد عرفته يقيناً من صوته، وأخذت تبكي فرحة مسرورة بقاء ابنها، الذي ظنت في يوم من الأيام أنه قد مات.. وأنها لن تراه أبداً.

كانت ملامح وجهه قد تغيرت من قسوة السفر، ومن رياح الصحراء وشمسها المحرقة، ولم يكن لديه الكثير من الماء، ولذا فهو لا يغسل وجهه في الصحراء، ولم يكن يتوضأ، بل كان يتيمم وذلك لقلّة الماء وخشية الهلاك، وقد غير الجفاف وأشعة الشمس من شكله ومن لون بشرته.



بقي في القصيم مدة إجازته ثم عاد إلى عمله في الشمال، ولم يسمح له والده بأن يرجع إلى الشمال كما أتى (وحيداً على ناقته)، بل أمره بأن ينتظر سيارات البريد، فإذا جاءت إلى القصيم ركب معها نحو الشمال، فرضي بذلك وكان لوالده ما أراد.



وفي أثناء عمله ~ في منطقة الجوف كانت الدولة تعاني من مشاكل التهريب بين الحدود السعودية والأردنية، وكان التهريب يشمل أموراً كثيرة منها البضائع والبهائم والسجائر وممنوعات أخرى.

وكان المركز الذي يرأسه الوالد والمراكز الحدودية الأخرى معنية بشكل كبير بمكافحة هذا التهريب، وكان من ضمن الخطة التي وضعتها أمانة المنطقة -لأجل مكافحة التهريب- أن وضعت جوائز مالية كبيرة لمن يلقي القبض على المهربين أو على الممنوعات التي يقومون بتهريبها.

ولكن الأمر لم يكن من السهولة بمكان، فالمهربون الخارجون على النظام، يعرفون جيداً ماذا ينتظرهم إن ألقى القبض عليهم، لذا فهم غاية في الحذر، وفوق ذلك هم غاية في البراعة في استخدام السلاح.

وكان مما يشاع عنهم أن طلقاتهم لا تسقط في الأرض، وإنما تصيب سيء الحظ الذي غامر واعترض طريقهم.

ومما زاد من هيبتهم أنهم قتلوا بعض من حاول القبض عليهم، وهم أيضاً لا يقومون بعملية التهريب بأعداد قليلة بل يصل عددهم إلى عشرة أشخاص على قدرٍ عالي من التدريب والشجاعة.

كانت الأمانة الملقاة على عواتق ضباط وأفراد الجيش كبيرة، فهم المسؤولون عن حماية البلاد من كل المواد المهربة والمحرمة شرعاً، لذا فقد كان لزاماً عليهم أن يعملوا بجد للتصدي للمهربين.

وكان ~ ضمن الكثير من الضباط الذين اهتموا بشأن مكافحة التهريب، فأخذ يجمع المعلومات عن التهريب والمهربين وعن طريقة عملهم، والطرق التي يسلكونها، وأعدادهم وعدتهم

في غالب عملياتهم.

ثم شرع في تنفيذ خطته للقبض على المهريين وما معهم، فاختار اثنين من أفضل جنوده وكان هو ثالثهم، وهذا عدد قليل جداً بالنسبة إلى المجموعات الكبيرة التي كانت تخرج للإمساك بالمهريين، وأيضاً بالنسبة إلى المهريين أنفسهم، ولكنه علم أن التفوق يأتي -بعد توفيق الله- بالذكاء وحسن التخطيط والتدبير، وليس بالكثرة فحسب.

وفي أحد الأيام جاءته إخبارية تفيد بأن المهريين سيقومون بعملية تهريب كبيرة في ليلة معينة، وأنهم سيسلكون أحد الأودية في طريقهم نحو الحدود، فطلب رفيقيه وخرج بهما في تلك الليلة إلى ذلك الطريق وأخبرهما بخطته.

قال لهما إن كل واحد منهم سيكون في أحد الجبال المحيطة بالوادي ومتى سمع أي واحد منهم

صوت المهريين فما عليه إلا أن يطلق الرصاص في الهواء، ثم يردّ عليه الآخران بطلقات مماثلة، وأكد عليهما أنه لا نوم هذه الليلة، بل سهرٌ حتى طلوع الفجر وأن من ينام فسيقتل على يد المهريين.

صلى كل واحدٍ منهم صلاة المغرب في مكمنه وبدأ الليل يرخي ستار الظلام في هدوء وصمت، ومضى الوقت حتى صلوا العشاء في مواضعهم، ثم مضى أول الليل ولم يُسمع للمهريين صوت، ومضى نصف الليل بدون أن يمر أحدٌ بالوادي، وقبيل طلوع الفجر .. دوّت طلقاتٌ في سماء الوادي، فضجت الجبال وعاد صداها وتبع هذا الطلقات سلسلة من الطلقات الكثيفة من هنا وهناك وارتجت الجبال، فملاً الذعر قلوب المهريين، وتفرقوا هاربين نحو قمم الجبال، ولسان حال كل واحدٍ منهم : سأوي إلى جبل يعصمني من الموت.

سيطر الخوف على قلوب المهربين وعقولهم،
فهربوا لايلون على شيء، وتركوا خلفهم بضائعهم
وكل الممنوعات التي أرادوا تهريبها !! وقد ملأهم
الذعر والرعب مما ظنوه جيشاً مدججاً بالسلاح
يحاصرهم من كل جانب.

طلع الصبح وأشرقت الشمس فإذا الوادي مليء
بالبضائع المهربة والدواب المحملة، اجتمع الثلاثة
وهنأوا بعضهم على هذا النجاح الكبير.

وعندما ابتعدوا عن الوادي نظر الوالد بالمنظار
المقرب فإذا به يرى رجلاً ينزل من الجبل متجهاً نحو
بغلٍ لم ينتبهوا له أسفل الجبل، فأمر أحد الجنديين
ليذهب فيحضر الرجل والبغل.. ففعل.

ولما وصل الرجل عندهم نظر إليهم متعجباً
وقال: " أنتم فقط ؟ لقد ظننا البارحة أن جيشاً
يحاصرنا"

وكان هذا الأمر بالتحديد هو ما اراده الوالد
~ من وراء الاختباء في الشعاب، والاستفادة من
الصدى بين الجبال.

مضوا في طريقهم نحو المدينة فلمّا وصلوا
بسلام، تم تسليم المهرّب والدواب والمواد المهربة إلى
الإمارة، فحصلوا على مكافأة مجزية.

وشاع خبرهم في المدينة وخلال فترة قصيرة
خرجت مجموعة كبيرة من الجنود وغيرهم يريدون أن
يحصلوا على جائزة مثلهم، وكان معهم من العدة
والعتاد الشيء الكثير، وعندما عسكروا بالوادي
غلبهم النعاس فناموا عن آخرهم، فلم توقظهم إلا
فوهات بنادق المهرّبين عند الفجر، فسلبوهم كل ما
لديهم من عدة وعتاد.

وفي ذلك يقول ~ :

يوم إلتقينا في بعيد البلاد

صادوه رجالٍ للغنائم تصيد

الرأي والتدبير قبل العتاد

واللي رقد واجه حسابٍ شديد



وفي التهريب ومشاكله التي عانى منها ~ ما حدث من أحد الجنود في المركز الذي يتولى رئاسته، حيث كان هذا الرجل - قبل أن يتم تجنيده - رجلاً فقيراً ذا عيال، فجاء إلى الوالد وطلب منه أن يتوسط له كي يعمل معهم في الجيش ففعل، ثم توفيت زوجة هذا الرجل فساءت حالته جداً، وفي أحد الأيام جاء إليه وأخبره بأنه مسافر لمدة يومين لأمر ضروري فطلب إجازة، ثم قال انه لا يجد مكاناً يضع فيه أطفاله، وطلب منه أن يكونوا عنده في منزله فلم يمانع ~ فذهب هذا الرجل وعمل في التهريب عبر الحدود، وكان يعود إلى عمله في حفظ الأمن ومحاربة التهريب -الذي يمارسه هو شخصياً في أوقات أخرى-، وفي أحد الأيام قبض عليه متلبساً بتهريب التتن (التبغ)، فلما سُئل عن جريمته قال: إنما جلبت هذه البضاعة بأمر رئيس المركز النائب عبدالله الفريح ولأجله، وليس لي بها حاجة -وكان رفقاء السوء قد أشاروا

عليه بذلك، بعد أن أوهموه أنه سينجو بفعلة إن
ألصقها بالرئيس - لكنه لم ينجُ بكذبتة بل أُحيل إلى
رئيسه ومركزه.

قال له ~ : لِمَ قَلتَ مَا قَلتَ وَأنا قَد أَحسنت
إليك وبذلت لأجلك ولم أقصّر معك ..!! فليس لك بعد
اليوم إلا ما تستحقه، وأنت الآن تستحق العقاب على
التهريب .. وعلى الكذب.

فأمر به فألقي على الأرض مكتوفاً، وجاء
بجريدٍ رطب يريد أن يجلده، فبدأ يصرخ ويستجد
بالناس بأعلى صوته، فلما بدأ يجلده أخذ يستغيث
ويقول: يا رسول الله.

فقال ~ : ومشرك أيضاً..!! ثم أوسع ضرباً،
لعظم جرمه وفساد ذمته، ثم أمر بسجنه، ولكنه
لم يلبث أن أخرجته لأجل أطفاله، وحتى يسعى
في كسب رزقه ورزقهم، ولكن ليس في الجيش

بل في أي مكان آخر.

وفي إحدى أسفاره بين الجوف والقصيم، ركب بالأجرة في سيارة نقل كبيرة (لوري) ومعه عدد غير قليل من المسافرين، فلما قطعوا أكثر المسافة انفجر أحد الإطارات، فنزلوا لإصلاحه، فكان السائق من البلدة بمكان بحيث لم يحمل معه مفتاح العجلات المناسب وإنما المفتاح الوحيد الذي معه هو مفتاح صغير لا يصلح لعجلات سيارته، وأعظم من ذلك أنه ليس لديه إطار احتياطي أصلاً، فتسابق الركاب إلى ظلال الأشجار وتحت المركبة ليتقوا حر الشمس، ويرتاحوا من عناء السفر، وكان الأمر لا يعنيه، وإنما يعني السائق فقط، وهو الذي سيهلك وحده إن بقي في هذه الصحراء المقفرة !!

جلس السائق يحاول أن يفك الإطار بدون جدوى، بينما بقي ~ يفكر في حل لهذه المعضلة

المهلكة، ثم هداه الله ﷻ لفكرة فيها نجاة الركاب.

سأل ~ السائق: ألدك منشار حديد؟

السائق: نعم.

الوالد: أحضره لي حالاً، فقد خطرت لي فكرة.

أخذ ~ المنشار، وبدأ ينشر مفتاح العجل ويوسعه، ثم يقيسه على المسامير، ومكث في هذا العمل طوال العصر، فلما أقبل المغرب نجحت الفكرة، وأصبح مقاس المفتاح يناسب العجلة، عندها هبّ النائمون يقدمون المساعدة في حل المسامير.

ثم انتهت مشكلة وبقيت أخرى، وهي إصلاح الإطار المثقوب، فأخذ الركاب يقدمون الاقتراحات العجيبة، فقال أحدهم: نحشو الإطار بالعشب الرطب، وقال آخر: بل الجاف، وقال ثالث: نملؤه رمل، وهكذا..

أما هو ~ فقد عمد إلى قطعة مرنة من البلاستيك (لستك) وأوقد ناراً ثم أذاب أحد وجهي هذه القطعة، ثم ألصقها بالكفر مغلماً بها الثقب، وضغط عليها بشدة، حتى لصقت بالإطار، فأمسك الهواء وبذلك صلح الإطار، فانطلقوا.

فلما أقبلوا على القصيم انفجر إطار آخر، عندها ترك المسافرون ذلك السائق البارع! وأكملوا بقية المسافة مشياً على الأقدام..!!



وحدث في إحدى السنوات العجاف التي عاشها في الجوف أن نضب الماء من البئر في مركز الجيش، فأرسل بصفته رئيساً للمركز إلى إحدى القطاعات التي كان لديها بئران، يطلب منهم أن يعطوا البئر الذي تشرب منه الجمال لمركز الجيش، ليشرب منه الجنود ودوابهم.

رفض المسئول عن ذلك القطاع منح البئر للجنود بحجة أن هذا البئر مخصص للجمال التابعة لهم ولا يمكن التخلي عنه.

اقترح الوالد عليهم أن يرسلوا الجمال لترد (الهوج)^(١) ويمكنوهم من البئر، فرفض المسئول رفضاً تاماً، فطلب منهم أن يشركوهم في بئرهم فلم يستجيبوا له، فلم يكن هناك بُدّ من التصرف بحزم فلا يمكن أن يترك الجنود ليهلكوا من العطش.

(١) الهوج: مورد ماء معروف في الشمال، يتبع إدارياً لمنطقة تبوك.

أمر الجنود بالذهاب إلى البئر المخصص للجمال
وكسر القفل الذي عليه، فإذا ما شربوا وارتووا هم
ودوابهم فليضعوا قفلاً جديداً، ثم تخيّر أفضل الجنود
وأمره بحراسة البئر بسلاحه.

اشتكى أصحاب البئر إلى القاضي فلما سمع
حجتهم وحجته، قضى له وزجرهم على فعلتهم
الشيعة.



وفي عام ١٣٦٨هـ وحين حدثت نكبة فلسطين واحتلتها اليهود، أرسلت حكومة المملكة جيشاً لقتال اليهود، كما فعلت أكثر الدول العربية، وكان إرسال الجنود يتم من الطائف، فأرسل ~ برقية إلى وزارة الدفاع يطلب نقله إلى الطائف، لكي يتسنى له الالتحاق بالدفعة التي ستذهب إلى فلسطين، فتم نقله إلى الطائف، ولكنه عندما وصل إلى الطائف كانت الدفعة الأخيرة قد رحلت إلى الجبهة، فلم يستطع اللحاق بهم، ثم جاءت الترقية إلى رتبة وكيل^(١)، في الفوج المركزي في الطائف، فاستقر بها ولم يرجع إلى الشمال.

وبانتقاله إلى الطائف انتهت فترة أحد عشر عاماً قضاها في المناطق الشمالية من المملكة، فرحل عنها

(١) وكيل: رتبة عسكرية قديمة يعادلها الآن رتبة رقيب.

من غير عودة، وانتهى عقد من الزمن بكل ما فيه من
ذكريات ومتاعب وآمال وآلام.

عمل ~ في الطائف عدة أشهر، ثم سافر إلى
القصيم لزيارة أهله وأقاربه، وحين عاد مكث في
الطائف ثلاث سنوات عمل فيها في الفوج المركزي
وفي إدارة السجن.



وفي مدينة الطائف وفي شهر ربيع الأول من عام
١٣٧١هـ رزق بأول مولود له، وكان ابنه محمد.

وفي منتصف عام ١٣٧١هـ انتقل ضابطاً إلى
مكة المكرمة، ثم عاد إلى الطائف برتبة ملازم ثانٍ
في عام ١٣٧٢هـ في الفوج الأول بالطائف.

وهناك قصة عجيبة حصلت له في الطائف، ففي أحد الأيام حين خرج من منزله بحي (معشّي) إلى صلاة الفجر قاصداً المسجد، فلما كان في منتصف الطريق لقيه الإمام عائداً من المسجد متجهاً نحو منزله، وكان مستعجلاً في مشيته مُعرضاً عنه ~ فلما حاذاه قال: "تأخرت يا عبدالله". !! ولم يقل له غير ذلك، بل ولم يقل له السلام عليكم...، ومضى في طريقه حتى اختفى وسط الظلام...

قال ~ : "فهمت أن أعود إلى البيت بل وشرعت في ذلك، ولكنني كنت أعرف الوقت جيداً وأنا متأكد من أنني لم أتأخر، فقلت لنفسي لعل الجماعة بكرّوا في الصلاة هذا اليوم...! سأذهب إلى المسجد فلربما وجدت آخرين ممن فاتتهم الصلاة فنصلي جماعة، ثم عزمتم على الذهاب، فمشيت إلى المسجد وأنا أفكر في تصرف الإمام وأتعجب من فعله، فهو لم يسلم علي، ولم ينظر إلي، فلما دخلت

المسجد كانت أمامي مفاجأة صُغت منها..!!

كان الإمام في مكانه يتلو القرآن كعادته قبيل الصلاة، وجماعة المسجد بين متنفلٍ وتالٍ للقرآن، ولم تقم الصلاة بعد، فتأملت وفكرت في الأمر! فعلمتُ أن الذي لقيني منذ قليل لم يكن إلا شيطاناً من الجن، تمثّل بصورة الإمام ليصرفني عن صلاة الجماعة".



وفي عام ١٣٧٤هـ انتقل إلى القصيم حين حصل على ترقية إلى رتبة ملازم أول في المدرسة العسكرية في بريدة.

وفيها حدث له موقف طريف وهو أنه كان يسكن في بيت إلى جوار المسجد، وكانوا آنذاك يحضرون المصلين بعد الصلاة للتأكد من حضورهم صلاة الجماعة، ويبدو أن الإمام في نفسه شيء تجاه الوالد، ففي أحد الأيام وبعد أداء صلاة الفجر بدأ التحضير وحين ذكر اسم الوالد - وكان في طرف الصف - أجاب ولكن الإمام لم يسمع، فانبرى يعرض به ويقول: بعض الناس بيتهم إلى جوار المسجد ولكن لا يحضرون الصلاة، فقام ~ منصرفاً وقال بصوت جهوري: إن كنت تقصدني فأنا هنا، فبهت ذلك الإمام، واسقط في يده وكان درساً له.

بقي في بريدة وفي مدرستها العسكرية ثلاث
سنوات، بعد ذلك انتقل إلى سرية الهاون في قاعدة
الخرج برتبة (رئيس)^(١) عام ١٣٧٧هـ.



(١) رئيس: رتبة عسكرية قديمة تم تعديلها إلى رتبة نقيب.

وفي عام ١٣٨٣هـ أصبح (وكيل قائد)^(١) في مستودعات الأسلحة والذخيرة بالطائف، وفي تلك المدة حصل خلاف بينه وبين أحد المسؤولين، وحاول ذلك المسؤول أن يسيء إليه أكثر من مرة.

ومن ذلك ما حصل إبّان حرب اليمن، حيث وصلت إلى المستودعات -التي كانت تحت إشرافه- إرسالية كبيرة من الذخائر، وكانت محملة على سيارات نقل كبيرة، ووصلت إلى المستودعات في الليل، وتم الإلحاح عليه أن يتم تفريغها فور وصولها، فاستتفر الجنود العاملين هناك لإنزالها، ولكن كانت هناك الكثير من المصاعب، مثل عدم استيعاب المخازن لهذه الكميات الكبيرة من الذخائر، وعدم وجود إنارة في المخازن، فأنزلوا الذخائر، وبأمر منه ~ وضعوها كما هي على

(١) وكيل قائد: رتبة قديمة تم تعديلها إلى رتبة رائد.

الأرض وتم تغطيتها بأشعة عازلة عن الماء، خشية فسادها بسبب المطر الذي قد يهطل في أي وقت، فقد كان الفصل شتاءً، وحصل بالفعل أن تلك الليلة كانت ليلة مطيرة.

أراد ذلك الشخص استغلال الوضع بطريقة لئيمة، فخرج من الغد مع مجموعة من زملائه وأصدقائه، وطلب منهم أن يقوموا بجولة تفقدية معه، وكان أول مكان تفقدوه هو المستودع الذي بالأمس، فلما رأى من معه الذخائر على الأرض - وقد أصابت مياه الأمطار الأشعة - قام بتضخيم الأمر لهم، وأفهمهم أن الماء لم يصب الأشعة فقط، بل الذخائر أيضاً، وطلب منهم أن يكتبوا معه برقية إلى وزير الدفاع، فكتب خطاباً يسيء فيه إلى الوالد ~ بشكل كبير، وكان مليئاً بالتهم والتلفيقات، ثم إن الله ﷻ لم يوفق ذلك الرجل، فقد فضح نفسه بنفسه، فكتب في آخر الخطاب يطلب مبلغاً كبيراً من النقود

لبناء مستودعات جديدة ومجهزة لأن المستودعات
الموجودة قليلة وصغيرة وغير مجهزة.

جاء وفد من الرياض إلى الطائف في اليوم التالي
وبشكل عاجل لتقصي حقيقة الأمر حيث ظهر
بوضوح أنها شكوى كيدية.

يقول ~ : "في اليوم التالي وبينما أنا والجنود
نعمل في الصباح الباكر ونعيد ترتيب الذخائر إذا
بلجنة تقصي الحقائق تدخل علينا ، فأخبروني
بالشكوى المرفوعة ضدي ، فأوضحت لهم الأمر
واجتهادي فيه ، فما كان منهم إلا أن قبلوا الحقيقة
وجاء الجزاء الرادع لذلك المسؤول الذي كشف الله
أمره".

وفي هذا الأمر يقول:

الحمدُ لله في وعوده صدقني

وأنعمُ عليَّ الربُّ في كل ميدانٍ

دافعُ عدوِّ كاذٍ كيدُهُ يصبني

وأظهرني المولى على كل عدوانٍ

هزمُ عدوِّ من ورايتهُ غدرني

اللي تظاهرُ بالصدّاقه و لا بانُ

يوم انكشف أمره وربي نصرني

جاء الجزا العاجلُ على يد سلطان^(١)

والكذوبُ اللي بكذبه ظلمني

ظلمُ علي كيدٍ وزورٍ وبهتانُ



(١) سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز (حفظه الله)، ولي العهد ووزير الدفاع،

وقد أنصف الوالد في هذه المشكلة التي كيدت له .

وبقي في ذلك المنصب حتى حصل على الترقية
التالية وكانت إلى رتبة مقدم، وكان ذلك عام ١٣٨٧هـ.
وفي عام ١٣٩١هـ عُين مديراً للتموين بالطائف
على رتبة عقيد، وفي ذلك العام بنى منزلاً له في مكة
المكرمة بحي العزيزية، وكان ينزل فيه في أوقات
مختلفة.

وفي مطلع عام ١٣٩٥هـ حصل على ترقيته
العسكرية الأخيرة إلى رتبة عميد، في نفس المنصب
السابق، وبقي على ذلك مدة ثم تقاعد ~ من عمله
في وزارة الدفاع وأواخر ذلك العام.



بعد التقاعد انتقل من الطائف إلى المدينة ،
وكان ~ قد اشترى مزرعة في المدينة أثناء عمله في
الجيش ، وذلك في عام ١٢٨٠هـ تقريباً ، فنزل في تلك
المزرعة وكان فيها بيت له يتوسطها ، فمكث في
المدينة ثلاث سنوات ، وفي السنة الثالثة أصابته وعكة
صحية اضطر لأجلها أن يسافر إلى لندن للعلاج ،
وكانت رحلته إلى لندن من المراحل المفصلية في حياته
~ ، حيث رأى في لندن أموراً أذهلته وغيرت مجرى
حياته فيما بعد .

مكث في لندن بضعة أسابيع وبعد انتهاء العلاج
عاد إلى المملكة وبمجرد أن وصل إلى المدينة المنورة
أخبر أهله وجميع أبناءه أنه قد عزم على الانتقال من
المدينة والاستقرار النهائي في مكة المكرمة بلد الله
الحرام وأشرف موضع في الأرض .

وبالفعل انتقل من المدينة إلى مكة بسرعة كبيرة ولم يأخذ الراحة المناسبة والمفترضة بعد سفره الطويل من لندن ولم يخلد إلى الراحة رغم أنه في فترة نقاهة.

ولم يشعر بالراحة والاطمئنان إلا بعد أن استقر في منزله بمكة المكرمة و الذي كان قد بناه بحي العزيزية أثناء عمله في الطائف.

هذا الانتقال المفاجئ أثار التساؤلات العديدة لدى أهله فأخبرهم أنه عندما كان في لندن شعر بالحسرة على التقصير في العبادة وعدم التقرب إلى الله بما فيه الكفاية، والمبالغة في العبادة، فتعجبوا من كلامه أشدّ العجب، وسألوه: شعرت بكل ذلك في لندن!! فهل رأيت فيها مسلمين يبالغون في العبادة والتقرب إلى الله والزهد في الدنيا!!

فقال لهم: رأيت في بريطانيا ما لم أراه هنا

في بلاد المسلمين، رأيت الأراضي الخضراء على امتداد
البصر، والسماء ممطرة أكثر الأوقات، والطيور
تُحلّق في السماء بأنواع شتى وتجتمع عند البحيرات،
والحيوانات أنواع وأشكال ما بين أليف وبرّي، وجميع
أنواع الأطعمة والأشربة، تعرف بعضها وتجهل
أكثرها.

فقلت في نفسي: إذا كانت هذه دنيا الكفار!!
فكيف بأخرة المؤمنين! وإذا كان هذا نعيمهم على
كفرهم فكيف يكون نعيمنا نحن وقد آمنّا بالله
ورسوله ﷺ!!

فقررت وأنا في بريطانيا أن أقضي ما بقي من
عمري في مكة المكرمة حرصاً على مضاعفة
الحسنات، فالصلاة بمكة بمئة ألف صلاة، وعلي أن
أفني عمري في التقرب إلى الله وطاعته والانشغال
بذلك عن كل شيء آخر.

ولهذا لزم ~ مكة المكرمة ولم يغادرها إلا نادراً وعلى مدى عقدين ونصف من الزمان، بقي في مكة حتى وافاه الأجل، نسأل الله أن يتقبل منه.



ولهذا عندما نزل بمكة واستقر فيها إنما كان يهدف من وراء ذلك إلى تحصيل الأجر والثواب المضاعف بمكة، حيث الصلاة الواحدة بمئة ألف صلاة فيما عداها، ويرى بعض العلماء أن الأمر يتجاوز الصلاة إلى الطاعات الأخرى، فكان لا يغادر مكة لأي أمر كان، ما لم تكن ضرورة لا يجد منها بُدأً، فلا يخرج من حدود الحرم إلا فيما ندر، وقد يمضي العامان والثلاثة وهو لم يغادر مكة ولو لساعة، بل إن المرات التي غادر فيها مكة -لبضعة أيام أو ساعات- على مدى ٢٥ عاماً تعد على أصابع اليد الواحدة.



أبرز صفاته :

محبة العلم وتعظيم شأنه، وهي من أظهر صفاته وأبرزها، فقد كانت محبته للعلم وأهله عظيمة، وكان يحث أبناءه على طلب العلم وحفظ القرآن والتفقه في الدين وتعلم العلوم بأنواعها، وكان يلقي على أهل بيته درساً في العلوم الشرعية، ويكثر من نصحهم وتوجيههم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، وكان يقرأ في الكتب الشرعية والأدبية دائماً، وفي بعض الأحيان يقرأ أحد أبنائه عليه، وكان يصحح للقارئ أي غلطة علمية أو نحوية فور سماعها وبشكل يبهر القارئ.

ومنذ نشأة أبنائه وبناته وهو يعدهم للتعلم، ويحببه لهم وكان يدرّسهم في البيت، ويعلمهم الكتابة والقراءة، ثم يلحقهم بالمدارس الحكومية، ومن ذلك أنه عندما كان يعمل في مدينة الخرج عام

١٣٧٦هـ تقريباً وضع لوحة تعليمية (سبورة) ليدرّس عليها أبناؤه، فكان يكتب الكلمة على اللوحة، ثم يطلب منهم أن يكرروها عدة مرات في كرّاساتهم.

وكان يحث أبناءه وبناته على طلب العلم والتفوق فيه، ونتج عن هذا الحرص الكبير أن حصلوا على الشهادات الجامعية في تخصصات مختلفة ودرسوا الدراسات العليا وحصلوا على الدرجات العلمية العالية، وصنفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس ومارسوا الإرشاد والإفتاء.

وقد تأثر أبناؤه بتوجهه وحبّه للعلم الشرعي، فتخرّج أكثرهم من كليات شرعية، وكان يحث أبناءه على حفظ كتاب الله والعمل به، وكان يلحقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، ومن ثمرات ذلك الاهتمام أن حفظ أكثر أبناءه قدراً كبيراً من كتاب الله، وأتمّ بعضهم حفظه كاملاً.

ومن شعره:

والعلم نورٍ في طريق العبادة

واللي يريد العلم ربي يزيدهُ

ومما يلاحظ في شخصه ~ أنه نشأ في أسرة

فيها علماء وطلاب علم، مما كان له أثر واضح في

توجهه واهتماماته، فطلب العلم وحصل على قدر منه،

وعلم أبناءه وحرص عليهم فتخرجوا بين يديه حتى

أصبحوا أساتذة في الجامعات ودور العلم والتعليم.

حدثني أخي الدكتور صالح أنه ومنذ صغره

وهو يسمع الوالد ~ يحث على مواصلة الدراسة

والتعلم، فعقد العزم على مواصلة الدراسة فتم له ذلك

بفضل الله تعالى أولاً ثم بسبب اهتمام الوالد بهذا

الأمر.

وكان قد اتصل بالوالد ~ هاتفياً قبل وفاته

بأيام وأخبره بأنه قادم من القصيم إلى مكة لزيارته

والسلام عليه، فأبى عليه، وأمره بمواصلة بحثه والاهتمام به- حيث كان يعد لرسالة الدكتوراه- فأخبره أنه انتهى للتو من فصلٍ كامل، وأنه يرغب في العمرة والسلام عليه فأذن له، فجاء إلى مكة، ووصل إلى بيت الوالد وهو في صلاة العشاء، فجلس في المنزل ينتظر عودته من المسجد، ولكنه لم يعد من المسجد أبداً، فقد توفاه الله ﷻ في المسجد عقب صلاة العشاء.

وكان ~ كثيراً ما يردد قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، والحديث الصحيح: "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب"^(٢).

(١) سورة الزمر: الآية (٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٢٢٣)، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، صفحة [٥٦]، مكتبة المعارف، ط ١.

وكان يحب اقتناء الكتب العلمية ومطالعتها والاستفادة منها ، وعندما تقدم به العمر وثقلت عليه القراءة أصبح يطلبُ من أبنائه أن يقرأوا عليه ما يختار من الكتب ، وقد أنفق الأموال الكثيرة في طباعة الكتب الدينية ونشرها ، وكان يخفي ذلك فلا يعلمه أحد ، ولم أعلم به إلا بعد وفاته ، حيث اطّلت على مجموعة نسخ من كتبٍ دينيةٍ مختلفة أخبرني من تولى طبعتها أنها طبعت على نفقته ~ ، فأسأل الله ﷻ أن يتقبل منه.

"وكان محباً للدعاة والعلماء وطلبة العلم يسأل كثيراً عنهم ويدعو لهم" (١) ، وكان يهتم لأخبارهم ويأنس بهم ويناصحهم ، وقد استضاف في منزله الكثير من العلماء والدعاة من داخل البلاد وخارجها ،

(١) هكذا وصفه الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل في خطاب لدى المؤلف.

وكان يكرمهم ويقدر دورهم العلمي والدعوي المهم
في إصلاح الفرد والمجتمع.



الورع والزهد، لم يسعَ ~ في طلب الدنيا
وملذاتها وإنما كان أقصى مراده فيها الكفاف
والستر، ولم يكن يحرص على جديد اللباس وفاخر
الطعام، بل ربما كره ذلك واستتكره، ولطالما
سمعته يردد قول الله تعالى: "وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا إنه لا يحب المرففين" (١)

وكان يكثر من ذم الدنيا والتحذير من التعلق
بها، وأنها دار امتحان وبلاء، ويرغب في الآخرة والعمل
لأجلها، ففيها النعيم المقيم والحياة الخالدة، ولقد
أعرض عن الدنيا ومغرياتها التي تعقب الحسرة والندم.
كان ~ حسن المظهر، مهيباً، تسبقه رائحته
الطيبة - لحرصه على التطيب دائماً - يلقي الناس بابتسامة
هادئة صادقة حتى وإن كان لا يعرفهم ولا يعرفونه.

(١) سورة الأعراف، الآية (٣١).

وكان ذكر الله دائماً على لسانه لا يفارقه،
وقد حصل له موقف طريف في هذا الأمر، ففي أحد
الأيام كان يمشي في طريقه فمرّ على أناس قد
اجتمعوا إلى جانب الطريق يتحدثون - وكان يذكر
الله في نفسه - فلما اقترب منهم قال لهم مسلماً عليهم:
سبحان الله - يريد: السلام عليكم..!!

ومن ذلك أيضاً ما حدث له في عام ١٤١٦ هـ،
حين سقط من أعلى نخلة في فناء داره بمكة، وكنت
أنا حينها في حجرتي في الطابق الثاني فسمعت صوت
اضطراب سعف النخلة، ثم صوت ارتطام قوي لجسم
ما بالأرض، ثم سمعت تأوهات، فنزلت من حجرتي
واتجهت ناحية الصوت وهناك رأيت والدي ~ ممدداً
على الأرض وهو يردد بصوت واضح.. الحمد لله..
الحمد لله.. في تلك اللحظات العصبية المؤلمة كان
يذكر الله وكأنه في كامل صحته وقوته..!!، بينما
هو في حقيقة الأمر بدأ يفقد وعيه من شدة الألم،

وقد أدخل إلى المشفى وتلقى بها العلاج اللازم ثم خرج منها بحمد الله سليماً معافاً.

كان حرصه على صلاة الجماعة والتبكير إليها كبيراً جداً، فمن ذلك ما حدث أثناء عمله في الجيش إذ كان في دورة عسكرية بالطائف، وكان الدرس يستمر في وقت الصلاة، ولكنه كان ينبه المحاضر إلى دخول وقت الصلاة مرة تلو أخرى، حتى إن المحاضر ضجر منه في إحدى المرات وقال له: "أشغلتنا يا مطوع، رح صلي لوحدك واتركنا"، فذهب هو وبعض رفاقه وأدركوا الجماعة.



وفي أمر الصلاة أيضاً وحرصه عليها كان له موقف طريف في الشمال مع أحد الجنود العاملين في مركز الجيش، وكان اسمه عوض، وكان عوض ثقيل النوم فإذا حضرت الصلاة وهو نائم تعب أصحابه حتى يوقظوه، وكان الوالد يحرص كثيراً على صلاة الجماعة وأن يحضرها الجميع، فكان يوقظ عوض بنفسه، ويقضي في ذلك الوقت الطويل، حتى أصبح يناديه ويداعبه قائلاً: (يا عوض قم تَوَضُّ-يا عوض قم تَوَضُّ) أي توضعاً، حتى يستيقظ.

ولما انتقل إلى مكة المكرمة واستقر بها كان حريصاً على إدراك فضل الصلاة داخل حدود الحرم حيث الأضعاف المضاعفة، فكان لا يخرج من مكة إلا للضرورة القصوى-خشية أن تدركه الصلاة خارج الحرم- وإذا خرج أولاده في نزهة خارج الحرم عاد قبيل الصلاة إلى داخل الحرم حتى يدرك الفضل،

وكان مع ذلك ملازماً للصف الأول في المسجد، فلا
أذكر أنني رأيته متأخراً إلا في ظروف نادرة جداً، فإذا
تأخر عن الصلاة ففاته شيء يسير منها تأثر لذلك
كثيراً.



الكرم، يقول عنه جاره الشيخ عبدالرحمن
الشلوي:

في حدو بيته حطّ مطبخ ومعلق
ويفرح ليامن الرياجيل جوله
ما يذبح إلا من كبيرات الأشناق
ما هوب يرخي الراس لاجاه دوله
وأيضاً ومع ذلك يحب التصداق
يمناه لاعنقه مهيب امغلوله



ويقول الشيخ د. يوسف الوابل: "والشيخ عبدالله الفريح معروف بكرمه ومحبته للخير.. فقد عمل في منزله مطبخاً للفقراء يعد فيه الطعام للفقراء ويوزعه عليهم بواسطة أبنائه وأبناء الحي ويرسل كذلك إلى المسجد الحرام للفقراء والمساكين بوجبات يومية فرحمه الله وجزاه على ذلك الجزاء الأوفى" (١).

فالكرم عنده ~ لم يكن لأقاربه أو زملاءه وأصدقاءه فحسب، وإنما قبل ذلك هو العطاء لمن لا يسألون الناس إلحافاً، للفقراء والمساكين، الذين لا يدعوهم أحد إلى الموائد ولا يحضرون المناسبات.

(١) المصدر: وثيقة كتبها الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل، موجودة لدى المؤلف.

وصفة الكرم فيه صفة أصلية، وطبعٌ وجبلةٌ
وسجية، ويصح فيه قول الشاعر:
تراه إذا ما جئته مهتلاً
كأنك تعطيه الذي أنت سائله



وما كان ~ يرد مسكيناً ولا ينهر سائلاً بل
على عكس ذلك، وأذكر أنه في عام ١٤١٥هـ
استضاف في منزله رجلاً مغترباً من الأفغان، قد تبين
للوالد ~ ضعف حال الرجل وغرخته، فكان الرجل
يأتي كل يوم وقت وجبة (الغداء) فيتناول طعامه ثم
ينصرف وأخذ على هذه الحال زمناً طويلاً حتى عاد
إلى بلاده.



وكان في مكة أناس أجانب مغتربون، ولم يكن لديهم مصدر رزق، وهم موجودون بكثرة وغالبيتهم من أفريقيا جاؤوا للعمرة أو الحج، ثم مكثوا بمكة يبحثون عن رزقهم، فكانوا يأتون إلى بيته فيوزع عليهم الطعام والنقود، وكانوا في البداية أفراداً، ثم تكاثروا فصار الشارع يغمص بهم، فكان ~ يوزع عليهم بنفسه، ويطلب من أبنائه تنظيم التوزيع حتى يحصل كل واحد من هؤلاء المساكين على نصيبه، ثم أصبح الرجال على رصيف والنساء على الرصيف المقابل في منظر عجيب ومثير، واستمر الأمر على هذه الحال منذ عام ١٤١٤هـ تقريباً حتى وفاته عام ١٤٢١هـ وكان في بيته عدد من أشجار النخيل المثمرة، وكان يوزع إنتاجها على أقربائه في مكة وخارجها، وعلى جيرانه و على المساكين الذين يطرقون بابه.

ولم يزل أولئك المساكين يأتون لمنزله حتى بعد
مرور عدة سنوات على وفاته ويسألون عنه ويحزنون
لوفاته فيذكرونه بخير ويعزّون أهل بيته ويدعون له.



الرؤيا الصالحة، كان له ~ مع الرؤيا شأن عجيب، فكثيرٌ من الرؤى التي رآها وقعت كما رآها أو قريباً من ذلك، ومن المناسب أن أورد بعضاً مما أذكره منها:

- حين كان يعمل في الشمال كان الناس يضعون علامات في الطرق من الصخر والحصى يسمونها (رِجْم)، وكانت توضع بين المدن والقرى لتدل الناس على الوجهة الصحيحة، ويطلقون عليها اسم واضعها، فيقال رجم فلان، وكان هو قد وضع رجماً، وبعد سنوات رأى في المنام أن رجمه قد هُدم، فلما استيقظ أخبر زملاءه وأصدقائه، أن رحيله عن الشمال بات قريباً ..!! فكان ذلك، حيث انتقل إلى الطائف-لضروف طارئة سبق ذكرها-وبقي في الطائف ولم يعد للشمال بعدها.

- في عام ١٣٩٠هـ وعندما كان يعمل بالطائف، رأى أنه رزق بولد ذكر، وكانت زوجته -أم محمد- في الشهر الأخير من الحمل، فحكى لها الرؤيا وبشّرها بالولد وأطلق عليها اسم (يوسف)، ثم سافر إلى مكة المكرمة ليوم واحد، وعندما عاد من الغد، وجدها قد وضعت ابنه يوسف -كما في الرؤيا تماماً-.

- وفي مدينة الطائف، عاد من صلاة الفجر في أحد الأيام وأوى إلى فراشه، وبعد غفوة يسيرة استيقظ وطلب من ابنه إبراهيم سرعة تجهيز السيارة والذهاب معه، وعندما ركب سأل ابنه: إلى أين؟ قال: "إلى (شهار)^(١) فقد رأيت رؤيا منذ قليل بأن مركبة ثقيلة (جرّافة) تعبت في أرضي هناك"، وأخبرني أخي إبراهيم أن الوالد كان مستعجلاً ولم تكن عادته كذلك، مما جعل إبراهيم يسأله عن سر تلك العجلة

(١) شهار: من ضواحي الطائف قديماً، وهو الآن من أحيائها المعروفة.

فقال له: إن الرؤى التي أراها عند اقتراب الصباح لا تلبث أن تحدث- إن صدقت- بخلاف ما أراه أول الليل فإنه إن صدق فهو لا يحدث إلا بعد مدة طويلة.

وصلوا إلى الأرض المقصودة فوجد الوالد أن جميع أحجار البناء الصخرية التي كان قد اشتراها منذ أيام قد سُرقت للتو، ولم يبق منها شيء.

- في عام ١٣٩٩هـ سافر إلى لندن للعلاج وكان يرافقه ابنه إبراهيم، وفي لندن لقي إبراهيم صديقاً له اسمه (علي الوهبيي) فحصل بينهما زيارات فلما أراد الوهبيي السفر قال لإبراهيم: أريد أن أودّع الوالد فذهبا لزيارته في المشفى فلما دخلوا عليه رأوا وجهاً غير الوجه الذي بالأمس فقد كان ~ مهموماً وقلقاً، فسألناه، فقال: "رأيت رؤيا أسأل الله أن يكفيني شرها"، فظن علي الوهبيي أنها فيه، فألح على الوالد أن يخبره بالرؤيا، فقال له: "إنها ليست فيك"، فألح

عليه جداً ، وكان يسأله: هل سيحصل شيء للقطار
الذي سأسافر به ؟ هل سيقع حادث ؟ هل سأموت ؟
فلم يجد بدأً من إخبارهما بما رأى ، فقال لهما
أنه رأى مسجداً كبيراً لم ير مثله قط ، وكان من
طابقين الأعلى مسجد والأسفل بيوت ، ورأى ناراً
عظيمة تلتهم ذلك المسجد وكان بجوار المسجد أحد
أبنائه..!!

انتهى العلاج وغادرا -والدي وأخي إبراهيم-
لندن عائدين إلى مكة المكرمة ، ثم انصرف أخي
إبراهيم إلى مقر عمله في جدة -وهو آنذاك ضابط
بالحرس الملكي- وبعد عام تقريباً وفي مطلع القرن
الهجري الجديد حصلت فتنة الحرم بمكة المكرمة
في يوم الثلاثاء ١/١/١٤٠٠هـ ، وعندما ذهب إبراهيم
إلى عمله أمر بالتوجه إلى مكة فلما رأى الوضع
المضطرب في مكة أراد أن يطمئن على والده وأسرته

فاتصل على منزل الوالد ولم يطل انتظاره...!!
فمن أول إشارة رُفعت سماعة الهاتف وكان
الوالد على الخط الآخر.

إبراهيم: السلام عليكم.

الوالد: وعليكم السلام إبراهيم؟؟؟

إبراهيم: نعم.

الوالد: أنت في مكة؟؟؟

إبراهيم: نعم.

الوالد: إنا لله وإنا إليه راجعون، لا حول ولا قوة
إلا بالله..... يا بني أتذكر الرؤيا التي رأيتها في لندن
العام الماضي ؟

إبراهيم: نعم.

الوالد: فإنه أنت الذي كان بجوار المسجد

المحترق..!!

فكان المسجد الكبير هو الحرم المكي،
وكانت النار هي الفتنة، فالحمد لله الذي سلّم
إبراهيم من شرّها.

وفي آخر أيام حياته رأيت منه بعض الأمور التي
أكاد من خلالها أن أجزم بأنه رأى في نفسه رؤيا قبيل
وفاته، نعى فيها نفسه واستعد للرحيل، فرحمه الله
رحمة واسعة وجمعنا به في دار كرامته.



العطف والرحمة، لم يكن عطفه ورحمته على أهله فقط أو معارفه بل ولا على البشر فحسب، وإنما على كل كائن حي، فقد كانت عاطفته جياشة ومشاعره مرهفة.

وتتجلى رحمته في معاملته للناس ولمن حوله من أسرته وأقاربه وجيرانه وغيرهم، وكان يحب مداعبة أبنائه وأحفاده ويعمل ببساطة على إدخال السرور على قلب كل طفل وتتجلى عواطفه في عباراتٍ لم يزل يمازح بها أبنائه وأحفاده حتى بعد أن كبروا.

وحدث أن توفيت ابنةً لاخته رقية (رحمها الله)، فتأثرت لأجلها تأثراً بالغاً، وكان حينها يعمل في الطائف وهي تسكن بمكة المكرمة، فكان يسافر من الطائف إلى مكة كل يوم ويذهب إليها يزورها ويواسيها، بل إنها ذكرت لي أنه كان يأخذها هي وأطفالها في سيارته إلى المنتزهات وإلى البرية خارج

البلد، وإلى أماكن مختلفة في مكة وضواحيها
ليخفف من أحزانها ويسليها عن مصابها.

كان ~ لطيفاً مع أقاربه باراً بوالديه مؤدياً
حق برّهما وصلّتهما فكان يكثر الصدقة عنهما بل
أوقف لأجلهما الأوقاف، فنسأل الله أن يتقبل منه،
وأن يرحم الجميع.



الطموح والمثابرة، من أعجب ما عرفت عن والدي أنه تعلم القراءة والكتابة على نفسه، نعم..لقد استغرق ذلك وقتاً، ولكنه علّم نفسه، وقد ساعده حفظه للقرآن كثيراً في تعلم القراءة والكتابة، فقد كان يأتي بالمصحف فيقرأ من مكان معلوم ويضع إصبعه على الحروف وينطقها حرفاً حرفاً ثم يكتب الحروف في كراس خاص ويراجعها حتى أتقنها شكلاً ورسماً.

كان له جلد كبير في الطاعة والعبادة، وطموح إلى الخير ومثابرة عليه رغم ما يعتريه من الصعوبات، فقد كان يسافر من الطائف إلى مكة يومياً في شهر رمضان إبان إقامته في الطائف، فعندما ينتهي عمله يذهب إلى مكة ويمكث في الحرم، ويصلي العصر والعشائين والتراويح ثم يعود إلى الطائف.

ومن ذلك اجتهاده في التعلم والدراسة للترقي
العلمي والوظيفي، فقد كانت الترقيات التي يحصل
عليها لا تتم إلا عبر اختبارات صعبة، فاجتهد فيها
كثيراً وكانت المذكرات المقررة عليهم في
الاختبارات كبيرة الحجم بالنسبة لطلاب الكلية
العسكرية فضلاً عن العسكريين الذين لم يلتحقوا
بالكليات مثل الوالد ~ .

كان من اجتهاده في المذاكرة أن يقرأ على
نفسه المقرر طوال النهار ويسجل صوته بالمسجل أثناء
المذاكرة، فإذا حضر الطعام ولم يستطع القراءة أخذ
يستمع للتسجيل، وكذلك إذا جاء الليل وأوى إلى
فراشه أعاد الشريط إلى أوله وأخذ يستمع إلى المادة
من جديد، وذلك لضيق الوقت وصعوبة الاختبار.

وقد تم له ما أراد فقد حصل على الترقيات
الواحدة تلو الأخرى حتى حصل على رتبة عميد.

وكان يطمح ويتمنى أن يكثر أولاده وذريته،
فاجتهد في فعل السبب فرزقه الله ثلاثة عشر ابناً
ذكراً، وبلغ عدد ذريته الذكور من أبناء الظهور فقط
قراة الخمسين نفساً، نسال الله أن يبارك فيهم وينفع
بهم الإسلام والمسلمين.



محبة الخير ومساعدة الناس، وأذكر قصة بهذا الصدد وهي أنه ركب البحر مسافراً في سفينة شراعية من جدة متجهاً شمالاً نحو مدينة الوجه، وكان الجو هادئاً والرياح يسيرة والبحر شبه ساكن، وكانت السفينة تبحر بسهولة وكل الركاب في طمأنينة وراحة، والهدوء يعم المكان، ولكنه كان (الهدوء الذي يسبق العاصفة) ولذا كان ربّان السفينة على العكس من ركّابها، فقد كان قلقاً من هذا الهدوء، وعندما ابتعدوا عن جدة مسافة كبيرة وأصبحوا في عرض البحر عصفت بهم الرياح فجأة وهاج عليهم الموج، وأخذ يقذف الماء داخل السفينة، واشتدت العاصفة وارتفعت الأمواج حتى أصبحوا يرونها كالجبال إلى جانب السفينة، وكانت الرياح قوية إلى درجة أنها مزّقت شراع السفينة وأخذ الشراع يرفرف في الهواء حتى تطاير خيطاً خيطاً، ولذا فقد ربّان السفينة السيطرة عليها، فانحرفت عن

مسارها واعترضت الموج فصار يضربها من جانبيها
ويكاد أن يقلبها، وغرق نصف السفينة من موجة
كبيرة واحدة، وكان مساعد ربّان السفينة يصيح
بالبحارة ليساعده على رفع طرف الشراع الاحتياطي
وربطه لإنقاذ السفينة، ولكن شدة الرياح دفعت
البحارة لأن يتفرقوا في السفينة ويتمسّكوا بجوانبيها
خوفاً من أن تقذف بهم الرياح الشديدة إلى عرض
البحر، حالهم كحال الركّاب، وكان الرجل يصرخ
بصوت عالٍ فظيع ورهيب ينذر الجميع بالخطر والموت.
قال ~: "وكنت أنا أيضاً ممن تمسكُ بطرف
السفينة فلما رأيت ما أصاب الركّاب والبحارة من
رعب استغنت بالله فأعانني بِحَبْلِهِ فتركت مكاني،
وذهبت أعاون مساعد ربّان السفينة، إحدى يديّ تعمل
معه والأخرى ممسكةٌ بحبل متين حتى لا أسقط في
البحر".

فتعاون الاثنان على رفع الشراع الاحتياطي حتى
تمكنا من ربطه ورفعاه فاعتدلت السفينة في آخر
لحظة ولو أدركتهم الموجة الثانية لكان الهلاك
المؤكد للجميع.

وفي وصف هذه الحادثة قال ~ :

يارب (موسى) يوم سئقت سراياه

(١) من كل جانب والبحر من وراها

أنجين يا منجي نبيك من أعداه

(٢) من دار مكة للمدينة نصاها

كان السكون مخبئين في خباياه

(٣) زوابع تنزع من القوع ماها

يوم استطار الموج والموج يتلاه

مثل الجبال الشاهقة في سماها



(١) موسى نبي الله ﷺ.

(٢) نصاها: قصدها.

(٣) يخبيء: أي يخفي.

التواضع، وفي هذه الصفة قصة حكاها لي أخي إبراهيم وهي أن الوالد أثناء عمله بالجيش في مدينة الطائف، كان يذهب إلى العمل بالسيارة العسكرية وكانت جيب (لاندروفر) واستمر زمناً على هذا الحال، ثم ذهب إلى جدة واشترى سيارة جديدة من نوع كابريس من إنتاج ذلك العام ١٩٦٥م وكانت فاخرة وجميلة، فذهب بها من الغد إلى العمل، فلما أصبح في اليوم التالي لم يذهب إلى عمله بالكابريس ولا بالجيب بل ذهب بسيارته القديمة جداً من نوع وانيت فورد موديل ١٩٤٧م التي لا تليق أبداً بضابط مثله وبرتبته.

فسأله ابنه إبراهيم عن السر في ترك سيارته الجديدة والذهاب إلى العمل بسيارة متهالكة!! فقال له: يا بُني، بالأمس حين ركبت تلك السيارة الفارهة نظرت إلى نفسي.. فإذا بالنجوم تلمع على كتفيّ وإذا

بالسيارة تلمع نظيفةً جديدةً ... فأعجبتني نفسي
وشعرت بالفخر والزهو، فأردت اليوم أن أهين هذه
النفس حتى لا تتكبر، لذلك ركبت هذه الخردة
كما ترى.



أعماله الخيرية، بعد أن عاش أكثر من نصف قرن في كفاح مريّر للعيش بكفاف وغمى عن الناس، شاء الله ﷻ أن يمنّ عليه بأموال طائلة، دون أن يسعى هو في طلبها، فكدرت عليه بقدر ما أسعدته، فقد علم أنها أمانة وأنها مستودعةٌ عنده وهو مسؤول عنها، فأخذ ينفقها في سبيل الله، وفي أوجه الخير المختلفة.

وبتوفيق من الله ﷻ ثم بنظرته الثاقبة، أنفق الكثير من الأموال على المحتاجين من ذريته وأقاربه جاعلاً ثوابها له ولوالديه.

ومن عطفه ورحمته بالمحتاجين من أهله وأقاربه وحرصاً منه على كرامتهم ومحبةً وتقديراً لهم كان هو من يذهب إليهم لتفقد حاجاتهم، وهذا أمر في قمة الشفقة والعطف ومراعاة المشاعر.

ومن صفاته البارزة أيضاً حرصه على وقته واستثماره بما ينفع، وكان كثيراً ما يحذر من الغفلة والإعراض عن الطاعات، ومن الآيات التي يذكرها دائماً-تفسيراً من الغفلة- قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(١).

كان يحث على الإحسان إلى الناس والتودد لهم ويردد قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢).

ومن صفاته أيضاً أنه كان يحسن الظن بالمسلمين، وكان كثير التأمل في الآيات القرآنية والآيات الكونية التي تدل على عظمة الخالق ﷻ، وتزيد في القلب الإيمان واليقين.

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٨٣).

ومن صفاته البارزة أيضاً حسن حديثه وجمال أسلوبه وعذوبة ألفاظه واستحضاره العجيب للآيات والأحاديث والقصص والشواهد المؤثرة، وقد حدثني بعض إخوتي أنهم إذا جلسوا معه ~ لا ينصرفون من عنده إلا وقد ازداد الإيمان في قلوبهم، وذلك لبلاغة وعظه وصدق نصحه.



مرضه ووفاته :

من سنن الله ﷺ ابتلاء عباده بالخير والشر
وبالغنى والفقر وباليسر والعسر، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (١).

ودرجة الابتلاء تختلف وتتفاوت على قدر إيمان
المبتلى ومكانته عند ربه، ويوضح ذلك حديث
المصطفى ﷺ حين سئل: أي الناس أشد بلاء؟ فقال: "
الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب
دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في
دينه رقةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد

(١) سورة البقرة: الآية (١٥٥-١٥٧).

حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة" (١).

ولقد تعرّض ~ إلى الابتلاء والمرض في مراحل مختلفة من حياته فكان صابراً محتسباً، وقد عانى من بعض هذه الأمراض سنين طويلة حتى توفاه الله، ورغم شدة الابتلاء كان يكتُم مصابه ولا يشتكي لأحد من الناس، وإنما كانت شكواه دائماً لله ﷻ.

وعندما كبر في السن زادت المعاناة، ثم استجدت أمراض أخرى، ولم يعد جسمه قادراً على التحمّل، وكان ~ في آخر حياته يتعب كثيراً من المشي ويرهقه جداً، فكان أبناؤه يذهبون به إلى المسجد بالسيارة في كل الفروض واستمر الوضع كذلك طيلة الخمس سنوات الأخيرة من حياته.

(١) سنن الترمذي (٢٣٩٨)، باب ما جاء في الصبر على البلاء، صفحة

[٥٤٠]، مكتبة المعارف، ط ١.

وفي يوم الثلاثاء ٢٠/٦/١٤٢١هـ اشتد عليه المرض حتى ألزمه داره ومنعه من حضور صلاة المغرب مع الجماعة في المسجد، فصلاها في منزله جماعة مع بعض أبنائه، وكان أبنائه يأتون إليه كل يوم بين المغرب والعشاء فيجلسون معه، وفي ذلك اليوم تحدث معهم عن ذكريات طفولته وشبابه، وعن أصدقائه القدامى، وتحدث عن والديه وذكرياته معهما، ثم أحس بتحسن قبيل صلاة العشاء، فأمر ابنه الدكتور أحمد أن يأخذه إلى المسجد بالسيارة، فدخل المسجد وتفضل وجلس حيث يجلس عادةً، ثم قرأ شيئاً من القرآن، وبعد أن صلى العشاء قام فصلى ما شاء الله له أن يصلي، ثم ذهب ليخرج من الجامع، فمشى حتى إذا توسط الجامع أحسّ بتعب شديد فاستند إلى ابنه أحمد ثم جلس واستلقى على الأرض وفاضت روحه إلى بارئها.

كانت وفاته صدمةً رهيبَةً، ومصيبةً وفاجعةً
أذهلت جميع الأهل، حيث حدثت فجأةً وبلا مقدمات،
فصُعقنا لهول الحدث ومرارته، وأبكى المصاب
الجميع.

ولسان الحال:

ولقد أرى أن البكاء سفاهةً

ولسوف يولعُ بالبكاء من يُفجعُ

وقد تم تجهيزه في تلك الليلة، فغُسل وكُفّن في داره، ثم نُقل قبيل الفجر إلى الحرم المكي الشريف، وصُلي عليه بعد فجر الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من عام ١٤٢١هـ، وقد أمّ الناس في الصلاة عليه فضيلة شيخنا الدكتور عمر بن محمد السبيّل ~ (١).

و كان ممن صلى عليه وشيعه إلى قبره وعزى أهله فيه جمعٌ من العلماء وطلبة العلم ممن أحبهم

(١) هو الشيخ الدكتور عمر بن محمد بن عبد الله السبيّل، ولد عام ١٣٧٧هـ، ودرس في مكة المكرمة وحفظ فيها القرآن وتخرج في معهد الأرقم بن أبي الأرقم، ثم حصل على البكالوريوس في الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم حصل على الماجستير والدكتوراه في الفقه من جامعة أم القرى وتدرج في المناصب حتى أصبح عميد كلية الشريعة، بعد ذلك عين إمامًا وخطيبًا للحرم المكي الشريف عام ١٤١٣هـ، توفي رحمه الله في الأول من محرم عام ١٤٢٣هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وأحبوه، منهم بعض أصحاب الفضيلة من أعضاء هيئة
كبار العلماء، وعدد كبير من العلماء والمشايخ
والدعاة.



بعض ما قيل فيه :

" كان ~ مخلصاً صادقاً في تدينه، وكان محباً للخير محسناً للناس، كريم الأخلاق والنفس، فيه الكرم الحقيقي، وكان ذا عزيمة لا تفتر" (١).

فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

" لقد رأيت وتعرفت على كثير من الناس، ولكن مثل الشيخ عبدالله الفريح لم أر في حياتي، فما رأيت أحداً مثله في خلقه وفضله وثباته على الحق والدين" (٢)

الشيخ سعيد بن مصطفى الطنطاوي

من علماء الشام وشقيق العلامة علي الطنطاوي

(١) المصدر: لقاء مسجّل مع فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل.

(٢) المصدر: حدثني بذلك شخصياً، وحدّث بعض اخوتي بنحوه.

"عرفته ~ يحب الخير لكل الناس من أي جنس وأي لون، فمن كان مسلماً فهو محبوب عند عبد الله الفريح، يرجو له الخير ويقدم له ما استطاع منه، فهو الفريح يفرح كل من جاء له بحسن كلامه واستقباله لضيوفه وحسن منطقه وطيب أخلاقه"^(١)

الشيخ سعيد بن حمود المطري

جاره لأكثر من ربع قرن

(١) المصدر: خطاب كتبه الشيخ سعيد بن حمود المطري.

"والشيخ عبدالله بن عبدالمحسن الفريح ~
معروف بكرمه ومحبته للخير.. وقد عرفت عنه
حرصه على معرفة الحق والعمل به فقد كان كثير
المناقشة في المسائل العلمية والدينية وكان يهتم
بقضايا المسلمين ويسأل عن أحوالهم ويتألم لما يحصل
لهم من اضطهاد وكان كثير الدعاء لإخوانه المسلمين
بالنصر والتمكين.. وكان كثير التلاوة للقرآن
الكريم في المسجد قبل الصلاة وبعد الصلاة فلا تراه
إلا تالياً لكتاب الله مع شدة المرض ولكنه كان
صابراً محتسباً حريصاً على وقته لا يصرفه إلا في
طاعة الله تعالى حتى لقي ربه وهو في المسجد" (١)

الشيخ الدكتور/ يوسف بن عبدالله الوابل

مدير التوجيه والإرشاد بالمسجد الحرام

(١) المصدر: خطاب كتبه الشيخ الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل.

"والشيخ عبدالله مدرسة جامعة مانعة وموسوعة
في نفس الوقت..، وكنت أخرج بفائدة كبيرة من كل
لقاء معه يرحمه الله" (١).

أ.د. محمد بن علي العقلا

معالي مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

~ "جاورته أكثر من ثلاثين عاماً، فكان
يتفقد جيرانه ويحسن إليهم" (٢).

الشريف صادق بن عبدالمعين آل يحيى

جاره لأكثر من ربع قرن

(١) المصدر: لقاء مسجّل مع الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا.

(٢) المصدر: خطاب كتبه الشريف صادق بن عبدالمعين.

"وقد عرفت في الشيخ عبد الله خصلتين
عظيمتين، الأولى: الحرص على الطاعة وارتداد
أماكنها كالمساجد، والثانية: حبه للدعوة والدعاة
فقد كان يدعمهم ويدعو لهم في صلاة الليل وفي
سجوه، وقد ختم الله له بخاتمة طيبة إذ لقي ربه في
بيت من بيوت الله" (١).

الشيخ الدكتور/ محمد بن سعيد القحطاني

المحامي والمستشار الشرعي بمكة المكرمة



(١) المصدر: خطاب كتبه الشيخ د. محمد بن سعيد القحطاني.

مراثي قيلت فيه

رثاه جاره الشيخ عبدالرحمن الشلوي بالقصيدة التالية :

مرحوم يا زَيْن الطبايع والأخلاق
والدين كله والوفا والرجولة
يا اللي على المسجد حريص وسباق
ومطبق سنّة محمد رسوله
في حدو بيته حط مطبخ ومعلق
ويفرح ليامن الرياجيل جوله
ما يذبح إلا من كبيرات الأشناق
ما هوب يرخي الراس لاجاه دوله
وأيضا ومع ذلك يحب التصداق
يمناه لاعنقه مهيب مغلوله

وبواردي يذب الصيد تَفَاق
من راح مع دربه بتتعب رجوله^(١)
واللي حياة عقبها موت وفراق
ما كن جا لرجل صوله وجوله
وا جارنا اللي مشرق نوره إشراق
عقبه يقول الحي شدوا نزوله
ياليت طول العمر يلقى بالأسواق
وأشريه له وإلا ندور حلولة
ياما تنصيته ليا خاطري ضاق
وياما يجي يمي بطيب وسهولة
بوايقه تومن ولا هوب بوّاق
هذي ميزاته وهذي فعوله

(١) تَفَاق: بمعنى البواردي البارع في الصيد والمتمرس فيه.

تشرله البيضاء على كل الأوراق
لو كان ميت يذكر ابن الحمولة
يالله عسى لألتفت الساق بالساق
في جنة الفردوس عرضه وطوله



ورثاه أخي إبراهيم بعدد من القصائد:

أولها هذه القصيدة التي كان مطلعها جواباً
لسؤال والدتي - حفظها الله- بعد أن عدنا من المقبرة،
حين سألت بكل حزن: دفنتم عبد الله يا إبراهيم؟
فأجاب: نعم.

نعم دفنّاه يا أمّاه فاحتسبي
الموتُ حقٌّ ولم يُستثنَ منه أبي
مهدٌ ولحدٌ وأفراحٌ وتعزيةٌ
والناسُ ما بين مسرورٍ ومُنْتَجِبٍ
والموتُ كالظلِّ للإنسان يتبعه
من حين مولده لم يشك من تعبٍ
لا يختفي أبداً حتى يواريه
يغيبُ ظلّ الفتى والموتُ لم يغيبِ

أستغفر الله ما للموت ننكره
لولا الحياة فهل للموت من سبب
ما المرء إلا امتزاج الروح في جسد
روح من الله والأجساد من لزب
الروح عادت لرب منه قد نُفخت
أليس عدلاً رجوع الثرب للثرب
ما مات من عاش في دنياه محتسباً
ما الموت إلا انشغال القلب باللعب
يا من فقدناه شيخاً صالحاً ورعاً
قد شاب شعرك والإيمان لم يشب
إن قال قولاً فإن الصدق مخرجه
من بين فكيه لم يُفطر على الكذب
وما مشى قط يوماً نحو معصية
وإن يكن نحو خير سار في خبي

سبعون عاماً وأستثني طفولته
عشراً) قضاها بحب الله في دأب
هذا مُصلاًهُ لو يحكي لنا لبكى
حزناً على فقد ذاك العابد النصبِ
وذاك مصحفهُ كم مرةٍ ختمت
آياته بلسانٍ سلسٍ عذبِ
سمحُ جوادُ كريمُ النفسِ محتشمُ
عفُ اللسانِ عن الفحشاءِ والسببِ
لكم تبديتَ لي إن صابني غضبُ
ذكرتُ حلمك فاستحييتُ من غضبي
وكم هممتُ بأمرٍ ثم تردعني
أصداءُ نُصحك إن لم يكفني أدبي
لئن بكيتك يا مَنْ كنت قدوتنا
رمز النقاء ورمز الزهد والحدبِ

فقد بكاكَ معي من لستَ تعرفه
من المساكينِ والأيتامِ والغُربِ
ما كنتَ تسألُ عمن جاء مُجتدياً
فما يهْمُكَ إذ أعطيتَ مَنْ تهبِ
حييتَ إنك حيٌّ في ضمائرنا
وإن ظنك في الأبناء لم يخبِ
دعوتَ ربك توحيداً لصفهمُ
أبشرْ بوعدٍ من الرحمن أن يُجبِ
عنا رحلتَ بيتِ الله مُختتماً
صلاةَ يومك بعد الوترِ والنصبِ
فصرتَ ضيفاً لرب البيتِ مُنتخباً
ما يفعلُ الله في ضيفٍ ومُنتخبِ

وبرغم جمال القصيدة إلا أنني كنت أنتظر من
أبي خالد المزيد ، فظهر ذلك له ، فقال :
بشيراً أقلل من التلميح والعتب
أبوك ليس كباقي الناس يا ابن أبي
سبعون عاماً له في كل ثانية
أمرٌ سيشفى غليل الشعر والأدب
أعماله كالجبال الشامخات عُلأ
أنى يحاطُ بها من سائر الجنب
أو كالنجوم تضيء الليل في ألق
فمن يطيق لها عدأً بلا كذب
ناهيك عن وصفها أو وصف واحد
ما أبعد الطلب أحياناً لمطلب
فلو جمعت فحول الشعر كلهم
من مبدأ الشعر حتى عصره الذهبي

لما كفى العُمُرُ يوفى حق أرجله
وإن أجادوا فحتى مفصل الركب
إليك عذري وما ظنني سترضه
أعلنت عجزني وكل الشعر يلحق بي



وقال أخي إبراهيم:

أسفي عليك وكل حي فاني
يا من رحلت وزدت في أشجاني
يا فارساً أمضى الحياة مجاهداً
ومعلماً ومريئاً متفاناً
بجهاده الإيمان نبراساً له
ما زاغ عنه ولو لبضع ثواني
قبل البلوغ مضى يشق طريقه
لم ينتظر ضرباً من الإحسان
منذ الطفوله وهو مشهود له
من صحبه قاصيهم والبداني
إن قيل (عبد الله) لم تسمع سوى
- أكرم به - لم يختلف إثنان

اللَّهُ أَكْبَرُ... كَمْ تَوْضِئاً قَبْلِهَا
وَمَضَى يَسَابِقَ رِقَّةِ الْأَذَانِ
فَإِذَا انْتَهَى مِنْهَا الْمُؤَذِّنُ لَمْ يَزَلْ
مَتَسَنِّناً أَوْ قَارِئاً الْقُرْآنِ
فِي مَسْجِدِ اللَّهِ لَا فِي مَنْزِلٍ
مَا كَانَ مِنْ شُغْلٍ وَلَا مَتَوَانِي
حَتَّى إِذَا أَنْهَى الصَّلَاةَ جَمَاعَةً
رَفَعَ الْيَدَيْنِ بِذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
لِلَّهِ، لَمْ يَبْدِ الْهَوَانُ لَغَيْرِهِ
أَكْرَمَ بِذَلِّ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
شَيْخٌ وَلَكِنْ فِي عَزِيمَةٍ ضَيْغَمٍ
مَنْ لِي بِمِثْلِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
عَانَيْتَ مَا عَانَيْتَ فِي دُنْيَاكَ لَمْ
تَفْرَحْ بِهَا أَوْ ضَقْتِ بِالْأَحْزَانِ

حتى أتاك الموت لم تأبه له
بل واقضاً لأقيمت باطمئنان
لموت منتصباً بأقدس بقعة
شيخُ أراناميتة الفرسان
يابن الثمانين التي أزرته به
أخجلت كل شجاعة الشجعان
عبر حياتك كيف نوجزها وقد
لقنتنا بالموتِ درساً ثانياً



وقال أيضاً :

قبراً أرى أم ذاك قصرٌ عالي
أم صورةٌ منسوجةٌ بخيالي

بل ذاك مثوىٌ للحبيب وإنما
صور الخيال خلاصة الآمالِ

آمالنا بالمؤمنين إذا انقضت
أعمارهم ومضوا إلى المتعالي

صارت لهم تلك القبور كجنةٍ
سبحان من جعل القبور عوالي

أواه يا أبتاه رغم يقيننا
لما نزل في أغلب الأحوالِ

نبدي التسلي والعيون تخوننا
ما أصعب السلوان للمتسالي

أُنسى التفتُّ رأيتُه متبَسِّماً
سَيَّانٍ فِي الإِدْبَارِ وَالإِقْبَالِ
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الِيَمِينِ وَجَدْتُهُ
وَإِلَى الشِّمَالِ رأيتُه بِشِمَالِي
عَجَباً لِهَذَا الحِزْنِ كَمْ أَزْرَى بِنَا
أَتْرَاهُ لَمْ يَعْرِفْ سِوَى أَمْثَالِي!



وقال أيضاً:

(فزّت سحر)

عامين مرّن وأنت يابوي وين أنت

(١) طالت علينا غيبتك حيل وأبطيت

كم مرّة جيناك في سالف الوقت

في مسجدك نلقاك أو داخل البيت

نلقاك حتى لولنا ما تبينّت

(٢) ما قطّ عنا لودقيقة تغيّبت

واليوم أزرّت حيلتي ما تمكّنت

(٣) والعين يجرح دمعها كل ما اشويت

(١) أبطيت: تأخرت.

(٢) تغيّبت: اختبأت.

(٣) أشويت: تحسنت.

ماكنني من قبل موتك حزنت
وإلا بكيت إنسان أو مات لي ميتُ
وإن شفت(عبد الله) حفيدك تذكرت
(جَدّه) وطلّلت بسمتي ثم وئيت
من حر ما بي صحت يا بوي وأمّنت
يا ليتني قبلك تكفّنت يا ليت



وقال بعد ثلاث سنوات :

مرّت ثلاث سنين والحال لا زال
الحزن مل القلب والقلب ما مل
ينقال حزن الناس ينقص إلى طال
لا والله اللي زاد حزني وما قل
والقلب بالمرصاد في كل الأحوال
كل ما هقيت إني نسيتك تململ
قبرك بصدري وين ما رحت رحّال
وقلبي بقبر ضم جثتك (بالعدل)^(١)
يا من لقلب من فقدناك رقال
يرجف رجيف الأرض يومن تزلزل

(١) العدل: مقبرة العدل التي دُفن فيها الوالد ~ .

وين ابتسامتك التي تشرح البال
وين الحنان اللي شقانا تحمل
وين الحبيب اللي جمع حوله عيال
كل على برّه يبي يصير الأول
وين الشديد اللي صمد رغم الأهوال
وين السماحة فوق وجهه تهلل
وين الذي يقرن كلامه بالأفعال
وين الكريم اللي على البخل يبخل
وين الذي ما يشغله قيل أوقال
وإن ضاق صدر الشيخ سبّح وهلل
وين النصوح الرحوم الطيب الفال
والله لو بيدي فلا أتركّ ترحل

يا بوي مانا صار من بعدك أوحال
(١) لا ينشرب منه ولا الريق يبتل

وقال :

الشيب عقبك عجعج براس مغليك
والدمع يطفّر غصب عن عين عيني
من حر وئاتي ليا حلّ طاريك
وين أنت؟ عارف بس ما أعرف ويني (٢)
يا بو محمد يا شقا شقوتي فيك
دامك وصلت إمناي لو تحتريني



(١) مانا: ماؤنا، أوحال: جمع وحل.

(٢) المراد: أعلم أين أنت، ولكني لا أعلم أين أنا..!!

ورثاه أخى الدكتور صالح بالقصيدتين التاليتين:

الحب يذهب بالعقول ويغتدي
والقلب يشغل بالحبيب الأبعد
ويكابد الألم المحب صباباً
لفراق محبوب إذا لم يصمد
ويعيش في ألم يزيده أواره
ذكر الحبيب وصورة لم تبعد
وتزيده الذكرى على طول المدى
ألماً يطاوله بليلاً مسهد
وفراق من تهوى شديد مؤلم
ويزيده ألماً بعيد الموعد
ويموج من ضجر فؤادك والحشا
إن غاب من تهواه غيب مؤبد

هذي المصيبة والفرار منازل
يصلى المحب بجمرها المتوقد
يا من ملكت عليّ كل جوانحي
ومضيت في درب قديم مبعود
نألت منازلكم وغبتم بعدما
نزل القضاء وحق حكم الأوحاد
ورحلت في ليل تواصل همه
ومضيت تتركنا لهم أسود
كنت الضياء ونور وجهك مشرق
ذهب الضياء وطل ليل سرمدي
وتركتنا في ظلمة لا نهدي
والليل أحلك من سواد الحرمد
وتركتني قد ضرني ألم سرى
في خافقي ومواجه لم تخمد

وتركت أزهاراً توضع طيبها
كنت الملاذ لها وأفضل والِدِ
وتركت خَلاناً يطيب لها اللقا
وصعدت تعلو في رفيع المقعدِ
عامان مرت منذ رحلت وإننا
نبكيك حزناً دائماً لم نسعد
ولقد بكتك من الفراق أحبة
كنت الأنيس لها وأفضل مرشِدِ
وبكتك أختك والبنات وأمهم
وبكتك من ألم قلوب ترتدي
حلل العزاء على الدوام لأنها
فقدتك حراً واصلاً لا تعدي
وبكاك أقوام أغثت دروبهم
بكريم بذلك في عطاء مُرفِدِ

لم تحرم المسكين والطفل الذي
مد اليمين فكنت أجود مقصد
حتى الرضيع يلف في أثوابه
نال العناية من ودود مُسعد
وبكاك أغراب ملكت قلوبهم
بجميل برٍ للغريب المُبعد
ما كان يهنؤنك الطعام بدونهم
زاد الضيوف وزادكم لم ينفد
وبكاك نخلٌ نال أوفر حظه
برعاية وعناية وتفقه
(أم الحمام) ^(١) بكتك حتى ملها
دمع وأوردها ختام المورد

(١) أم الحمام: من أنواع النخيل المعروفة، وكانت لدى الوالد في فناء داره.

أما الثمار فظالما فرحت بها
أهل الجوار وضيئك المتردد
وبكتك من فقد مجالسك التي
كنت الأنيس بها رفيع الأعمد
أما تجاربك التي قد أفعمت
بغزير علم مع جميل المشهد
تروي لزائرك الذي لا يرتوي
شيئاً من الماضي العريق الأجد
كانت دروساً في الحياة لمن وعى
تلك التجارب من عظيم المعهد
إن الحياة لدار علم للذي
فهم الدروس بعقله المتوقد
يا أيها الشيخ الذي بلغ العلا
بسخائه وذكائه والأجر

أمضيت عمرك في العبادة والتقوى
ترجو الإله وحر نار تفتدي
كنت المسابق للمعالي والعللا
حتى علوت علو أعلى فرقدي
ولقد جمعت المجد من أطرافه
أحسن قصدك جاهداً لم تقعد
والله قد أحذاك كل جميلة
طيب الأرومة مع كريم المحتد
وخلائق ملك القلوب جميلةا
فتشأؤهم عن ذكركم لم يبعد
تلك الخلائق جملة لا ينتهي
منها الجمال وروعة كالعسجد
يا من عرفت الصدق في أثوابه
ولست طهراً زاكياً كالمسجد

ورأيتُ (أيوباً) تقمّص بُرده
في صبره العالي الجميل المفرد
أتراك قد عفت الحياة مريرة
عمّ البلاء وساء فعل المنجد
وتواصلت أخبار قهر عاشها
أخوانُ دينٍ كلهم لم يُنجد
وتزايد النذل الرهيب وقلوبكم
عن حمل هم الدين لم يتحيد
وتكشفت أثواب جهد بعدما
ثقل الحراك فساوكم كالجمد
حتى قضت تلك الهموم عليكم
والهم أوردكم طویل المرقد
حكم الإله يفوق كل طبابة
والحكم للحي القديم الموجد

وتحقق البعد الذي لم يصطلي
بجحيمة إلا المحب المفتدي
ولقد فقدتك فالحياة كئيبه
والعين من دمع كعين الأرمـد
أبتاه بُعدك زاد من أشواقنا
فقلوبنا من حرها كالموقد
ذاب التجلد والجليد يذيبه
نار تضرم في فؤادٍ مجهد
يا قلب صبراً فالحياة مواجع
ويذيبها قهراً عظيم تجلد
يارب أحله الرضا ومنزلاً
أعدتها للزاهد المتعبـد
ألبسه من حلل تفرح بطيبها
من سندسٍ واستبرقٍ وزبرجدٍ

ولكل من طلب الوصال لفاضلٍ
يرجو النعيم له بعيش أرغدٍ
إن الدعاء هدية يهنا بها
من كان في جدثٍ قديمٍ موسدٍ
فارفع رعاك الله صادق دعوةٍ
في كل فرضٍ من فؤاد مهتدي
فالله أعطى من دعا مثل الذي
يدعوه به في غيبةٍ أو مَشْهَدٍ
ثم الصلاة على النبي محمد
وأتم تسليم لأكرم سيدي
والختم حمدٌ دائمٌ لا ينتهي
كل الرضى فيه وصدق المنشد



وقال أيضاً :

أيا جـدثاً أي العباد تواري
أثراك تدري عن ثناء ساري
أثراك تعلم عن روائع فعله
عن صدقه عن برّ المدرار
عن لطفه عن عطفه عن رحمة
بالطفل بالمسكين بالمنهار
عن وده عن حبه عن رأفة
بالأهل بالإخوان بالأصهار
يا أيها القبرالذي أودعته
روحي، ووجهاً مشرق الأنوار
إنني لأدرك فرحكم وسروركم
بالمصالحين ونخبة الأطهار

لَمَّا اقترَبنا منك نَحْمَلُ خَلِّنا
أَظْهَرْتَ فَرَحَكَ وَالشِّفاهِ تَدَارِي
وَفَتَحْتَ صَدْرَكَ بِالْمَحَبَّةِ كَلِّها
وَتَقُولُ: هَذَا لِلْحَبِيبِ يُوَارِي
إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَتِمَّ سُرُورُكُمْ
فَنَزِيلُكُمْ أَضْنَاهُ حُبُّ الْبَارِي
أَمْضَى الْحَيَاةِ مَجَاهِدًا يَرْنُو لَمَّا
وَعَدَ الْإِلَهَ بِصَادِقِ الْأَخْبَارِ
لَمْ يَغْرِهِ هَذَا الْمَحَلُّ بِزُخْرَفِ
أُغْرَى سِوَاهِ فَكَانَ عَبْدُ الدَّارِ
أَتَتْ الْحَيَاةَ إِلَيْهِ وَهِيَ بَدِيعَةٌ
تَرْجُو الْوَصَالَ لِعَابِدٍ صَبَّارِ
أَمَّا الْجَمَالَ فَلَا تَسْلُ فَهُوَ الَّذِي
مَلَكَ الْقُلُوبَ بِسَطْوِهِ الْقَهَّارِ

جاءت إليه بكل غنجٍ مغرقٍ
بدلالٍ بكرٍ كاملٍ غدارٍ
كانت كأجمل ما تكون حليلاً
القدُّ سحرٌ والعيونُ تباري
ألقت على جسدٍ ليكمل دلتها
ثوباً رقيقاً ستره كالعاري
جاءت وأطيبابُ تزف جمالها
لجميل وجهه مطلبُ الأبحار
نظر الأبوي إليه من عليائه
نظر البصيرة لا رؤى الأبحار
لم يغيره شكُّ وليس يذله
حب الغواني في جميل إزار
وأشاح وجهاً مشرقاً ضاءت به
كل الدنيا كأوائل الإسفار

وأنهارت الدنيا لإعراض الذي
خضعت له بالفلس والدينار
وتقول في حُبِّ تداري مكرها
هذا أنا بالنثر والأشعار
هيا ارتمي بين الضلوع فإن بي
شوقاً إليك كجارف الأنهار
وتبسم الشيخ الوقور ولم يزد
عن قوله تنهي الغرام الضاري
يا هذه الدنيا الكئيبةُ فاغرُبي
فالقلب ماضٍ في دُنا الأسفار
غُرِّي سواي فليس يرضيني سوى
أعلى الجنان ومنزل الأبرار
أما هواك فيشغل القلب الذي
يُلبى به فالفكر كالضمار

هذا الذي أمضى الحياة عبادة
لإله صدقٍ قادرٍ جبار
كم ليلة قد قام في كنف الهدى
بصلاة ليلٍ في دجى الأسحار
تلك الصلاة فيا لروعة سمتها
يتلو الكتاب بخفية الأسرار
ما زلت أذكر ذلك الصوت الذي
فيه الخشوع وفيه كل وقار
وأرى بجنح الليل ظلاً قائماً
مد اليدين لواحدٍ غفار
يدعو ويسأل ربه من فضله
صوتٌ تهدج والعيون جوار
أمّا النهار فقد تعلّق قلبه
بمساجدٍ كتعلّق الأنصار

فيحبها حُبَّ الصحابة للنبي
يسلو بها عن دهرنا الغرارِ
فإذا رأيت مجاهداً قد ضُرِّجت
منه الجنوب مقطَّع الأوتار
قد جاد بالنفس الكريمة راجياً
عالي الجنان وروضة الأحرار
فأعلم بأن خيلنا قد فاقه
ومضى يقاوم قائد الأشرار
قد صدَّ للنفس اللجوج فردّها
عن غيرها لعبادة الستار
حتى أجاب الله في جناباتها
بين الصفوف كفارسٍ مغوار
يا رب فاقبله وأعلِّ مكانه
واجعل منازلَه مع المختار

ثم الصلاة على النبي محمد
ما ضاء ليل في ذرى الأعمار



ورثاه كاتب السطور بالقصيدة التالية:

لك الحمد يا ربي على كل ما بدا
وإن حلّ فينا الموت راح أو اغتدى
لك الحمد حمداً واسعاً لا يحيطه
محيطٌ، ويبقى دائماً الدهر سرمداً
لك الحمد مدراراً إليك نسوقه
وأياً نكن في حالة أنت تحمداً
فأنت إلهي خالقي ومصوري
وأنت الذي أرجو هداه لأرشداً
وأنت الذي تجزي عبادك إنهم
بفضلك يا رحمان قد جاوزا الردى
فأرحم إلهي عبدك المؤمن الذي
بأخرى جمادى يوم عشرين قد عدا

إليك يحث الخطو نحو صلاته
فصلى عشاءً كان فيها مرددا
أنا عبدك التوَّاب هَلَّا غفرت لي
فأنت إلهي صاحب الفضل والندى
برغم الضنى والسقم حين دعوته
فما كان إلا طائِعاً وموحدا
حتى إذا جاء القضاء لقيته
بخير لقاءٍ كان في الذهن واردا
وشئت إلهي أن يكون ختامه
بُعِيد صلاة الوتر حين تشهدا
فويلاه من فرقى تكون لمثله
وويلاه من قلبٍ به كان أرغدا
وإن كانت الأشعار ليست ترده
فإن لنا فيها عن الحزن مُسندا

وإن قضاء الله فينا لنا فؤادُ
وإن حساب الله كان مؤكدا
وليس على قدر الإله محجة
ولكنها الفرقى تلوع أكبدا
فيا رب أسكنه الجنان مثوبة
ومن قبلها رحماك يا رب موعدا
وأسكنه فردوساً عظيماً بناؤها
يعيش بها أبد الحياة مخلدا
ويلقى بها الرسل الكرام وصحبهم
وأيضاً بها يلقي النبي محمدا
وينعم في جنات ربي فإنها
محل نعيمٍ وافرٍ ليس ينفدا
لعل عزائي أن يكون لقاءه
بجنات عدنٍ عند ربي فأسعدا

وصلِّ إلهي دائماً ومؤبداً
على سيد الخلق المظفر أحمددا

وقلت أيضاً:

أبتاهُ ماذا قد يخط بناني
أم أيُّ شيءٍ قد يقول لساني
أم أنها الدنيا وهذا حالها
يومٌ لنا، ولها بنا يومانِ
أمسى رحليكمُ يؤرق خاطري
واستيقظت من نومها أحزاني
وتقطعت سُبُل الوصال ومثلها
أنياط قلبي مُزّقت بسنانِ
فارقتنا والقلبُ يعشق ذكركم
والعين لم تقوى على الفقدانِ

كل الأخلّة يا أبي ينسون إلا أنا
تستعصي على النسيان
لا زلت أذكرياً أبي فاك الذي
لما نزل شفّاه تبتسّمان
ولكم تذكرت الذي قد طالما
أحيا حياة الدين في وجداني
ومضى يسطّر في القلوب محبةً
للعلم والتقوى وللإيمان
ويقول لي إن الحياة قصيرة
ومصيرها للقبر والأكفان
فاسعى إلى مرضات ربّ قد سما
فوق السماء بثابت الأركان
فجزاك ربي كل خيرياً أبي
وجزاء ربي صادق الميزان

يا من إلى جنّات عدنٍ قد سعى
بذل النفس وغالي الأثمانِ
إن الحياة وإن تفرّق بيننا
فلقاؤنا في جنّة الرحمن

بإذن الله



ذريته :

خلف الشيخ عبد الله ثلاثة عشر ابناً نَسأل الله أن ينفع بهم أن يجعلهم ذخراً لأهلهم وأمتهم، وهم:

• الدكتور / محمد، وهو أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، حصل على الشهادة الجامعية في التاريخ من نفس الجامعة، ثم حصل على درجة الماجستير من جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية في تخصص التاريخ، ثم حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة عام ١٤١٠هـ، وكان البحث بعنوان (الخلفية التاريخية لحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب)، له عدد من الإسهامات العلمية، وقد شارك في ترجمة كتاب "في شبه الجزيرة العربية المجهولة"، لربورت تشيزمان - وكتاب

"نساء شهيرات من نجد"، وهو تربوي مؤرخ^(١)، وعضو في اللجنة العلمية بدارة الملك عبدالعزيز، وله من الأبناء حسام.

• المقدم متقاعد إبراهيم، تخرج من الكلية العسكرية (كلية الملك عبدالعزيز الحربية حالياً) في عام ١٣٩٤هـ، ثم عمل ضابطاً في الحرس الملكي، التحق بالعمل في الملحقة العسكرية في السفارة السعودية بالعاصمة الأمريكية واشنطن، وحصل على عدد كبير من الدورات العسكرية في أمريكا وباكستان وغيرهما، طلب التقاعد المبكر فحصل عليه في عام ١٤١٠هـ، وهو أديبٌ وشاعرٌ بارع، له الكثير من القصائد التي تتناول شتى ألوان الشعر،

(١) انظر: من مشاهير الجزيرة العربية من عام ٧٠٠هـ إلى عام ١٤١٧هـ، عبدالكريم بن حمد الحقييل، ج١، ص ١٦٤. وأنظر أيضاً: معجم مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، عبدالكريم الحقييل، ج١، ص ١٢٠.

وله من الأبناء خالد وأسامة وزيد وعبد العزيز وعبد المحسن وعبد الله ومحمد ومعاذ.

• الأستاذ / علي، وهو مدير مدارس الفضل بن العباس الأهلية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية في اللغة الإنجليزية من جامعة الملك عبدالعزيز- فرع مكة المكرمة- (جامعة أم القرى حالياً)، عمل في التدريس زمناً طويلاً، ثم تولى أعمالاً إدارية مختلفة فعمل وكيلاً لثانوية طلحة بن عبيدالله ثم مديراً لمدارس الفضل بن العباس الأهلية، وله من الأبناء عبدالله ومحمد وسليمان وعبد العزيز ومعاذ والبراء وسعد وعمار وياسر وبدر.

• الأستاذ/ عبدالمحسن، يعمل في شركة رينيبيون بجدة، حصل على الشهادة الجامعية من كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

• الأستاذ/ عبدالرحمن، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد عمل في التدريس زمناً ثم تقاعد منه عام ١٤٢٨هـ، وله من الأبناء عبدالله ومحمد وعامر.

• الأستاذ/ عمر، وهو مرشد في التعليم العام بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الشريعة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وله من الأبناء صلاح وعبدالله وعبد الرحمن ومحمد.

• الأستاذ/ يوسف، نائب مدير وحدة الإشراف بالمؤسسة العامة للتدريب التقني بجدة، حصل على الشهادة الجامعية من كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وله من الأبناء عبدالمحسن.

• الدكتور/ صالح، وهو أستاذ مشارك في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ووكيل الكلية للتطوير الأكاديمي وخدمة المجتمع، حصل على الشهادة الجامعية من الكلية نفسها عام ١٤١٢هـ، ثم حصل على الماجستير من كلية الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-فرع المدينة المنورة-عام ١٤١٥هـ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام بالرياض عام ١٤٢٣هـ، وله العديد من المؤلفات والأبحاث، كما شارك في عدد كبير من المؤتمرات والندوات المحلية والعالمية، وله من الأبناء عبدالله ومحمد.

• الأستاذ/ عقيل، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عمل في التدريس ثم في المحاماة، وله من الأبناء عبدالله وعبدالرحمن.

• الأستاذ/ خالد، يعمل في الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي بمكة المكرمة، وله من الأبناء عبدالله.

• الدكتور/ أحمد، وهو أستاذ مشارك في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية من كلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم حصل على الماجستير من الكلية نفسها عام ١٤٢٠هـ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من شعبة التفسير وعلوم القرآن بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، وذلك في عام ١٤٢٦هـ، وهو إمام وخطيب جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه بمكة المكرمة، وله من الأبناء عبدالله وعبد المحسن.

• الشيخ/ بدر، وهو أستاذ في معهد الحرم المكي الشريف، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الشريعة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - فرع القصيم - (جامعة القصيم حالياً)، طلب العلم على عدد من المشايخ والعلماء، من أبرزهم فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين ~ ، وهو إمام وخطيب الجامع الكبير في الشرائع بمكة المكرمة، وله من الأبناء عبدالله ومحمد.

• كاتب السطور/ بشير، يعمل مشرفاً على النشاط الثقافي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، حصل على الشهادة الجامعية من قسم الشريعة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام ١٤٢٢هـ، ثم درس مرحلة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين عام ١٤٢٨هـ، ويعد في الوقت الحاضر لرسالة الماجستير وعنوانها (الرسائل الدعوية

للأئمة من آل سعود في الدولة السعودية الأولى
والثانية- دراسة تحليلية)، وإضافة إلى الكتاب الذي
بين يدي القارئ الكريم فللمؤلف كتاب آخر، وهو
بغنوان (الشطر المجهول) في فرائد الأمثال في الشعر
العربي، وقد صدر عام ١٤٢٩هـ عن دار طيبة
الخضراء بمكة المكرمة.



الفصل الثاني

الفصل الثاني: شعره

قال رسول الله ﷺ: " إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكماً" (١)، والشعر ديوان العرب حفظ لهم تاريخهم وسيرهم، وهو سجية طبعوا عليها، فكأنما الشعر هو العرب، لا ينفكون عنه ولا ينفك عنهم.

في الخامسة عشر من عمري سألت والدي ~ :
كيف تنظم القصيدة؟ فأنا أريد أن أكتب الشعر.
جاء الجواب على غير ما أردت إذ قال: "يا بني
أشغل نفسك بطاعة الله، ودع عنك الشعر".

(١) سنن أبي داود (٥٠٠٩)، باب ما جاء في الشعر، صفحة [٧٥٠]، مكتبة المعارف، ط ١.

ومن فضل الله عليّ أن التزمت أمره رغم محبتي
للشعر فلم أنظم قصيدة في حياته، فلما مات كتبت
في رثاءه قصيدتين.

ومن المهمّ هنا الإشارة إلى أنه ~ كان يقول
الشعر بأسلوب سهل يسجل فيما يقول ذكرياته
ومواقفه وتوجيهاته، ولم يكتب الشعر بغرض التفنن
في نظم القصائد أو الإكثار منها والانشغال بها.



في مطلع بعض القصائد سأقدّم بكلام نثري
استقيته في الغالب من الوالد ~ شفهاً، أو من
خلال مذكراته الشخصية التي يذكر فيها أحياناً
مناسبات بعض القصائد، وذلك لتوضيح فكرة
القصيدة ومناسبتها.

قال ~ : " ذكر وشكر لله على نعمه
وترغيب بما عند الله ودعوة لمن استجاب ."

الحمد لله في إحسانه تربييت
ربييت^(١) في دار بها الجود رابي
وناديت ربي بالسحر داخل البيت
أجبت ربي بالدعاء ثم جابي
وناديت في وقت الأذان وتناديت
ناديت من سمع النداء واستجاب
بديت بالماء للعبادة توطييت
وصليت لله ذخريوم الحساب
أعز نوم بالسحر فيه ضحييت
حيث الدعاء وقت السحر مستجاب

(١) ربييت : نشأت وتربييت .

يا رب في حبلك تمسكت وأديت
فرض الصلاة و كل ما بالكتاب
أسكنتني مكة قريب من البيت
وفتحت لي بالخير من كل باب
يا رب في عفوك وجودك تذرّيت
أرجي السلامة من شديد العذاب
و أرجي نعيم في طلبها تفانيت
مدى الحياة منوخ لها ركابي
يا رب في بابك أنخت وتحريّت
فوز وغفران يحوزه جنابي
تازعتني شتى الأفكار وأبديت
حزم وعزم مهتدي للصواب
نزعت عن كل الرذائل تعلّيت
وشربت من ميّ السماء بالسحاب

وابتعت لله كل مالي وأمضيت
وأنفقت من مالي ريال وربابي
وجاهدت في ربي صديقي وعاديت
عاديت من عاداه من أول شبابي
وجاهدت نفسي و البلاء فيه أبلت
حسن البلاء ما أدركته أعصابي
أرجي جنانٍ في طلبها تعنيت
فوق السهول ونايفات الهضاب
مع كلمةٍ وحده لها قلبي أجريت
هي كلمة التوحيد فيها جوابي
يرجع بها الميزان فيها تمنيت
رضى ربي المولى عظيم الثواب
يا رب في حُبك سلّيت وتسلّيت
وأحسست أني بالدعا مستجاب

أنجيتني عند الدرك يوم زلّيت
ويسّرت لي كل الأمور الصعاب
الحمد لك والشكر ما أصبحت وأمسيت
وإعداد ذرّات الهوا والتراب
وصلاة ربي دايم الدهر صلّيت
على النبي الهاشمي و الصحابي



قال ~: "المناسبة / أن أنجاني الله من مخاطر
تعرضت لها حتى فقدت الأمل بالحياة"
بدت بسم الله ولانيب مرتاب
الحمد لله ربنا مرتجانا
الحمد لله ربنا رب الأرباب
والشكر له عند الخطر ما نسانا
الحمد له يوم اغلقت كل الأبواب
يوم انقطع من باب غيره رجانا
الحمد لك يا مسبب كل الأسباب
أنت الكريم وفضل جودك وتانا
يا الله يا لى من تولاك ما خاب
يا مجيب عبدك سعى ما توانا
في كل عمره مؤمن فيك أوّاب
يرجي ثوابك يوم تحصى الحسنانا

إختم حياتي بأطيب الطيب الأطيب
وأكتب لي الفردوس الأعلى مكانا
وصلاة ربي على محمد والأصحاب
صلاة وتسليمٍ وحُبّه هو أنا



قال ~ : ويتأمل ما عليه الناس من الانصياع إلى الدنيا وغفلتهم عن الله، وما هم عليه من الذل والمهانة..، فكّرت في ذلك وتعلمت منه، ولا شك بأن ذلك بسبب إعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا، فكان ذلك جزاءً وفاقاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

يوم إن طلبنا عزنا به لقيناه
دين الإسلام وشرعة الله هوانا
دين السعادة والعدالة عرفناه
الله يديمه منسجم مع هوانا
سنة محمد عرف الحق منحاه
منحنا الكتاب اللي نزل من سمانا
يوم انكشف للناس خيره وفجواه
تسابقوه رجالنا مع نسانا

دينٍ عظيمٍ قيّد الخير بخطاه
من لاذ به سار المسار بأمانا
سعاداته عمّت بدينه ودنياه
به فوزنا والحمد للي هدانا



قال ~ :

يا من لقلبٍ من قديمٍ يصالي
حَرَ السَّمومِ ولاهب القلب ما راح

ويا من لقلبٍ من سنينٍ طوالٍ
ما راحني يومٍ ولاهوب مرتاح

يريد تحقيق العسير المحالِ
وياما سعينا له غداةٌ ومرواح

وياما بذلت الجهد وأتعبت حالي
وفتحت أنا باب الكرامة بمفتاح

ورقيت سلمها ولا شيء حالِ
دون الذي أهواه مع كسب الأرباح

كان الثمن جهدٍ كبيرٍ وغالي
ومن رام خير البريسعى للإصلاح

والحمد لله من قديمٍ وتالي
مرامنا برِّ له القلب يرتاح
وياما طردت الصيد وأشرفت عالي
وطالعت غزلانٍ من الصبح سراح
وعديت من خلف الطويل الموالي
متخوّفٍ حمل الهباب له رياح^(١)
يوم اقتربت وزان مرمى الغزالِ
رمىت (بسم الله) على الريم مرتاح
وأكملت بالمديّة أحل الحلالِ
وحملت ضبيي يم ربعي وسوّاح
أكرمت ضيفي وابتهلت ابتهالِ
إلى الولي ربي على كل ما راح

(١) كان ~ يقوم بصيد الغزلان والوعول من الاتجاه المعاكس لاتجاه الرياح حتى لا يحمل الهواء رائحة الإنسان إلى الغزال فيفر.

حمدٍ وشكرٍ للعظيم الجلالِ
المنعم العالم بسري والإفصاح
ثم استدار الوقت والعمر طالِ
ورجعت زراع وراء الحرث فلاح
وأعياني الإنشاء وحضر الطوالِ
وهواجس تعصف بنا عصف الأرياح
هذه المتاعب من قديم بحالي
ألفتها تبدو لنا مثل الأشباح
لو ما دعمني عاملٍ والعيالِ
جهدي كبير وجهد غيري به اشحاح
والحمد لله عوّضن في حلالي
رغم البلاء قدر لنا حفظ الأرواح



قلت: كان الشعر ولم يزل من وسائل حفظ

الأنساب والأخبار ونشر الفضائل والحث عليها ، وفي
هذه القصيدة يتحدث ~ عن أسرته وآبائه.

فريح ابن سُلمي من أصلٍ تميمي

عراقيةً بالأصل والفرع والساس

معدن ذهب مغمور بين الحطيم

ما مثلهم معدن ولا مثلهم ماس

تسلسل الأجداد فذِّكرهم

شهادةً جاءت على ألسن الناس

شمس الضحى ما من عسامٍ مغييم

شمسٍ سطع نوره على كل مشماس

هذي الحقيقة ما جردها غريم

شَتان بين الرجل واليد والرأس

هم قوّة في كل أمر عظيم
هم طاقة يشعربها كل حسّاس
صديقهم في عزدايم مديم
وعدوهم يسقونه المُرّ بالكاس
صديقهم صديق صدق حميم
وعدوهم يحمل على الحدّ والباس
هم بالشرف لكل طفلٍ يتيّم
عطف وحنان ورحمةٍ ما لها قياس
للوّاجب اللازم شروه هضم
هضموم للوّاجب للأدنين مدراس
أمثالهم بالناس يومك عديم
أخلاقهم تربو على كل مقياس

مرحوم يالجد الكريم القديم

(١) (هداج تيماء) ما يعادل بالأرساس

(محمد) المعروف لأهل القصيم

(٢) (بالواعي المدرك تدابير الأنجاس)

له مطعم يصدر رخي البريمي

من الندى والخير يلقاه محتاس

(و(علي الفريح) اللي برز من قديم

(٣) رجل كريم دعم المجد بالساس

(١) بئر هداج بتيماء بئر عظيمة تقع اليوم وسط تيماء القديمة، كانت ولا تزال رمزاً للكرم والجود.

(٢) هو الجد محمد بن فريح بن فواز، انظر الحاشية في صفحة ٦.

(٣) هو علي بن عبد الله بن محمد الفريح، من وجهاء الأسرة وكرمائها، كان شجاعاً مقداماً، فاقت شجاعته الوصف، قُتل غدرًا وهو نائم، وذلك عندما كان مسافراً في طريقه إلى العراق على مقربة من الحدود، عام ١٣٧٠ هـ تقريباً.

و(محمد المحسن) للضواين غريم
عدو ماله لو تعرض للإفلاس^(١)
كم من قطيعٍ حول داره مقيم
محضراتٍ للسكاكين والفساس
ياما ذبح من كل كبشٍ جسيم
أَبَتْ سكاكينه على ذبح الأتياس
متعـودين رجـالهم والحـريم
ذبح الطلي لو نس للضيف نسناس
وقـريبهم يعطي الورق بالرزيم
عند اللزوم يناول التبر بأكياس^(٢)
الكل منهم بالمراجل هميم
يفوق في بحر الشرف كل غطاس

(١) هو العم الشيخ محمد بن عبدالمحسن بن محمد الفريح، انظر ص ١١ .

(٢) الورق: النقود، التبر: الذهب.

يا رب ضاعف أجرهم يا كريم
وأسكنهم الفردوس تقديس الأقداس
كل البشر أصله تراب رميم
الفرق بالأعمال مع طيب الأنفاس
أرى الشدايد مخبره للفهيم
كالنار تعزل صايف التبر ونحاس
كان الشرف والجود منذ القديم
حليفهم لاواجه الناس الإفلاس
والحمد لك يا رب رب رحيم
للمؤمن العامل وهب طيب الإحساس



قلت: يصور ~ جانباً من المعاناة التي عايشها
أيام شبابه في هذه الأبيات التي يسندها على ابنه بدر.
ياما من اللوعات يا (بدر) جئني
ومن البلاء والعسر قلبي تلقاه (١)
ما من قريب يعلم الحال عنّي
يوم أطبقنّ أنياب بقعا تصدّاه
كم مرة استسلم الجنب منّي
في قفرة صحراء عوا ذيبه عواه
مجالدٍ حرّ الضما وجلدتي
حرّ شديدٍ والخلا كان مضماه
يوم اغلبنّ اظفارهم وادركني
في ساعةٍ ما لي ملاذٍ سوى الله

(١) جئني، أي: جئتني.

كان المنايا بالأثر يطردني
وأنا أحمد المولى حماني ونحاه



قال ~ : "المناسبة/ ذكريات بعض ما واجهت
من المتاعب عندما سافرت من الهلالية إلى الرياض
للدراسة مع الإخوان وأنا في سن الثانية عشرة من
عمري".

وأنا بسنك يا (بشير) ادفعتنى
دوافع توصف بزين الصفات^(١)
هميم نفسي من صباه أتعبتنى
تطلب مكان عزها ياشفاتي
من عند حبي والحبیب انزعتنى
نفس طموح تطلب الغاليات

(١) يسند في هذه القصيدة على ابنه بشير-كاتب السطور- وعمره آنذاك عشر
سنوات تقريباً.

من العويذة للرياض أرسلتني
مطامعٍ فاقت جميع شهواتي^(١)
مطامعٍ بالعلم يومه دعيتني
وبذرت حَبِّي حين وقت النباتِ
رَحَلت حملي حامله فوق متني
مواجهٍ ماله من التكاليفاتِ
والموطن الأول ودارَ أودعتني
وأودعتها والعمر عشر سنواتِ
دار العويذة للسفر جهزتني
نحو الرياض معدي من (مرات)^(٢)

(١) العويذة: مزرعة في الهلالية، عاش فيها بعض طفولته قبل أن يسافر إلى الرياض لطلب العلم.

(٢) مرات: مدينة تقع في إقليم الوشم بمنطقة الرياض، وتبعد عن مدينة الرياض ١٧٠ كم تقريباً، كما تبعد عن شقراء قاعدة الوشم ٣٥ كم تقريباً.

حَيَوْفَ (العيينة) بالقدم جرّحتني
كم شجّ رجلي حيف هاك الصفاة^(١)
وبَدَارَ دخنه الهوام أقلقتني
تبادل الإخوان حقب وهماة^(٢)
ياما من اللّوعات يا (بدر) جتني
ملّوع منذُ عرفت الحياة
في كل ميدان أطرده واطردتني
متعرض لأخطارها والممات
في كل مرّه حاولت واقنصتني
أخطأ سَهْمَهَا حيث صاب الوشاة

(١) حيوف العيينة: الحيف: حد الحجر، وجمعه حيوف، والعيينة محافظة تقع على وادي حنيفة في إقليم العارض، وتبعد عن مدينة الرياض ٤٠ كلم تقريباً، الصفاة: الصخرة الملساء.

(٢) دار دخنة: المقصود حي دخنة بالرياض حيث يجتمع العلماء وطلاب العلم، وقد سبق الحديث عنها في الصفحات ٤٣-٤٤-٤٥.

لولدت عنها بالمكيدة لقتني
غير الولي ما من ملاذ يواتي
عرفتها من كثر ما لوّعتني
وجهه كريه وأنيابها كاشرات
عرفتها بالغدر وهي إعرفتني
مسالمٍ أسعى لخير احسناتي
كم مرة هادنتها واخذعتني
ما من سلامه لو طلبت النجاة
كم ليلة بهمومها أسهرتني
من كل نوع تجمع المشكلات
مرّ لها غالب ومرّ أغلبتني
ربي كريمٍ قيض الحاميات

ويمّ الشمال بـ (حظوظا) رمتني
(١) مضيع في ربيعة المهمالات
وتعرضت سيارتي واقلبتني
بحدود قرية معصف العاصفات
وما بين بقعا والنفود احجرتني
تجمعت بقعا لبقعا الصافات
وما بين (دومه) والحدود أرهقتني
(٢) من شرها رخصت عليّه حياتي

(١) حظوظاء: موضع في منطقة الجوف شمال غرب المملكة، ويقع على بعد ٢٩ كم شمال شرق مدينة العيساوية، وهو عبارة عن مباني ودوائر حجرية مبنية من الحجارة البازلتية السوداء.

(٢) دومة: مدينة دومة الجندل بمنطقة الجوف في شمال غرب المملكة.

ومن دون (قارا) بالنفوذ إلحقتني
ما من ملاذ غيرهاك الغضاة^(١)
ريم (البيضاء) في فلاته لقتني
بيوم سمومه لاهبٍ بالفلاة^(٢)
أنازعه ظلٍ عليه إسبقتني
لما ظهّرتُ وبعضها نيامات
روعتها والحق هي روعتني
حيث البلاء صور لي الجازيات

(١) قارا: تكتب هكذا (قارة)، وهي بلدة تقع بالقرب من مدينة سكاكا، بمنطقة الجوف.

(٢) البيضاء: تقع في منطقة الجوف شمال غرب المملكة، ويحدها من الشمال وادي مدرج ومن الجنوب نفوذ الغويطة، وتشتهر البيضاء بكونها منطقة زراعية، وقد جذبت إليها في الآونة الأخيرة عددًا من المشاريع الزراعية الضخمة.

طُعْمٍ لذيذٍ في لحومه غذتني
أطلقت أنا سهمٍ من الصايباتِ
يوم أنهر الدم الغزير إ جذبتني
صوب الفيافي مهلك الهالكاتِ
لا شربة بيدي ولا حذاً وقتني
الجوَّ حامي والقدم حافياتِ
أثر البلاء في طراده دعنتني
حرٍ شديدٍ والوطى حامياتِ
ومن شرق (حسمى) بالفلاة أدركتني
تمكّنت منّي وحانت وفاتي (١)

(١) حسمى: منطقة تقع الى الغرب من مدينة تبوك، ومن أهم آثارها جبل اللوز الذي يقع على بعد ٢٠٠ كلم غرب مدينة تبوك، ويعتبر من أعلى السلاسل الجبلية في منطقة حسمى التي تعد جبالها امتدادا لجبال السروات.

حَفَرْتُ قَبْرِي بِالْيَمِينِ إِدْفَنْتَنِي
مَسْتَسْلِمٍ وَأَعْضَائِي مَسْتَسْلِمَاتٍ
أَجَبْتُ يَوْمَ إِنْ الْمَنَائِيَا دَعَتْنِي
بِدْيَارِ مَدْهَالِ الْوَحْشِ وَالْمَهَابَةِ
سَجَّيْتُ جَسْمِي مِثْلَ مَا أُمِّي أَوْلَدَتْنِي
بِمَغَارَةٍ فِي ضِلِّ هَاكَ الْحِصَابَةِ
وَضَعْتُ جَنْبِي وَالْمَنَائِيَا دَعَتْنِي
بِتْرَابِهَا وَارَيْتُ جَسْمِي وَسَوَاتِي
بَقِيْتُ لِمَنْ إِنْ الْعَنَائِيَةُ أَتَتْنِي
عَنَائِيَةُ اللَّهِ عِنْدَ الْأَخْطَارِ تَأْتِي
نَهَضْتُ مِنْ قَبْرِ رِمَالِهِ حَوْتَنِي
مَنْ الشَّرُوقِ لِفَاغَابِ نَوْرِهِ وَفَاتِ
لَقِيْتُ رِحْلِي بِالْجَوَارِ إِحْتَرَّتْنِي
مَحْبُوسَةً رِغْمَ الضَّمَا بِالْفَلَاةِ

لا حابسه ولفٍ ولا هي أولفتني
مفلوتةٍ من قيدها انفلات
والحمد لله ميّ السماء أمطرتني
مزنٍ حقوقٍ بالحياء ممطرات
من الموت اليقين أنقذتني
يوم التفات ربي علي التفات
من أفعالها شقيقتي أنكرتني
لما رأته وسومها بارزات
أغلقت بابه بوجهي اهجرتني
رغم المنادا يا كبيرة خواتي
أنا أخوك ولو غيرتني
شر البلايا ما تغير اصواتي
تعرّفي صوتي ولو سوممتني
سوم العذاب وغيرت لي صفاتي

لكنّها بجفّالها جفّلتني
شعرت بالخيبة وخابت سواتي
تراجعت بعد اليأس يوم اكسحتني
ما لومها كانت من النادمات
ما مرّ به يوم سموم ناره صلتني
عاشت وداعه صحبة الوادعات
ما من صديقٍ حسّ ما أوجعتني
ولا رفيقٍ قام بالواجبات
محدّ درّا بي لو خذت أو عطتني
الناس تسخر مع كثير الشمات
متاعبٍ لو ما لقيته لقتني
وما قدرّ المولى على العبد يأتي
عالجت أنا بقعا وهي عالجتني
واليوم أنا قررت أرمي عصاتي

من وَّخِ رحلي ولو رحلتني
مسلمٍ أمري وموصي وصاتي
والحمد لله رغم ما لاحقني
سِلمت من شر البلاء والأفاتِ
الله وقاني كل ما حاولتني
والحمد لله يوم قدر نجاتي



قال ~ : "المناسبة / كنت ساري في الصحراء
لطلب الماء بعد ظمأ شديد، وكانت تلك الليلة مظلمة
شديدة العسام حيث اختفى عن نظري كل شيء، ثم
أسقاني ربي من مياه المطر رغم شدة القيظ "

وفي نسخة أخرى قال ~ : مناسبتها / في هذه
القصيدة أصف بعض ما واجهته ذات ليلة من البلاء إذ
كنت ساري يحدوني الظما وخطر الموت، في ليلة
شديدة الظلام مغبرة لا أرى يدي أمام عيني حتى ولا
بعيري ولا الجبل على ضخامته وكبره لا أراه من شدة
الظلام، في هذا أصف بعض ما حصل لي في تلك الليلة
فأقول:

سَـرَيْتُ فِي لَيْلٍ شَدِيدٍ ظَلَامِهِ
حَلْكَ الظَّلامِ وَجَن فِيهِ الجَنِينِ
أَجَلِبُ عَلَيَّ اللَّيْلُ وَأَجَلِبُ عَسَامِهِ
وَأَمْسَيْتِ غَابَتِ عَن عَيْوَنِي يَدَيْنِي

غاب الجمل ثم غاب عني سنامه
لجّ الظلام اللي ستر ما يبين
حتى بعيري ما يميّز جهامه
جرف المسيل اللي كمن له كمين
يوم إن تردّي قاذفٍ بي أمامه
قحصت أنا ثابت بربي يقيني
قمت أتلمس ما انكسر من عظامه
لقيت ربي واقبي معتيني
ثار البعير وقمت أنا أمشي أمامه
متخوفٍ من وقعةٍ ما تزين
وشيش ثعبانٍ عدا من منامه
لا شايفٍ شيءٍ ولو هو يليني
يارب سلّم وادفع الشين شامه
أنت الكريم وربنا يالعويني

والحمد لك يا رب منشي الغمامه
يوم أمطرت من ميهامستقيني



قال ~ :

ناديت أنا قبل النداء وقت الأسحار

(١) ربِّ كريمٍ جاب خلقٍ مجيبين

ينصر إسلامٍ صار في كل الأمصار

(٢) مجرّمين أهله وراهم مسلمين

الله يبعث قائداً يأخذ الثار

يرد عن صاع المعادين صاعين

يحشد لهم جيش من العرب جرار

مسلح بالحق والعلم والدين

يعلو ديار الصرب والصرب كفار

واللي سندهم من جميع المعادين

(١) جاب : أجاب .

(٢) وراهم : ما بالهم .

بقدره اللى يمسخ الذل والعار
اللى بلانا به عبىء الشىاطين
والىا انصرنا نعر البيت والدار
بقدره اللّهُ كل شىء لنا زين



قال ~ : "مناسبتها/ قلت عندما باقني الشباب،
وأوقع بي بين الأحباب، مرض شل حركة الأعصاب،
وحبسني داخل الأبواب، وقد احتسبت على الله الأجر
والثواب":

(أسير) في بيتي مع أهلي وسريري
من غير حكمٍ مانعٍ من ذهابي^(١)
كن القدر قيّد مسيري بكربي
لو سرت أنا مشوار زاد بعذابي
مرّ الشباب بريشه اللي شهّر بي
واليوم عن جهدي رأيتَه رمى بي

(١) أي كأنه أسيرٌ في منزله مع أهله وأولاده وذلك من غير أن يكون هناك
حكمٌ يمنعه من الذهاب والخروج كالإقامة الجبرية مثلاً.

حلّ الوهن والجهد شفته غدري بي
عيّان من نومي ولبسي ثيابي (١)
كَنَّ العيا والشيب خصمٍ مَكْرَبي
ما كان هذا واردٍ في حسابي
يا رب يا مولاي دار الدهر بي
دارت ليااليها مع أيامها بي
زاد الإحساس اللي قديمٍ بدرَ بي
من سن عشرٍ دام يملئ لبابي
مَرِيسْتُدْ بي ومَرِ حدر بي
في كل صوبٍ دام يطرد ركابي
بديت من لاشيء سعيي ودربي
وعبرتُ دورات الزمان الصعابِ

(١) عيّان: من الإعياء والتعب .

واليوم بعد السعي شرقٍ وغرب
ما زلت من شوط الحياة بعذاب
تضعض الجهد الذي كان يربي
في كل مسعى كان يهوى الروابي
ياما سعيت بعون ربي شَمْرَ بي
فوق الصعابِ مَذَلِّ للصعابِ
وياما عَدَيْتَ بليلةٍ والسهر بي
أَسَاقِ الأحداثِ عَدَوَ الذيابِ
وياما وقفت بوجه شرسٍ كشر بي
لاما تتحى بعد كشر النيابِ
وياما شكرني أمرٍ وأفتخر بي
غِبَ النتائجِ معجبٍ بي إعجابِ
واليوم أنا بالدار مجدٍ شعر بي
بين الولاياتِ مرخياتِ الحجابِ

رخصت يوم إن الشباب انحسر بي
أكبر عيوبي كان فقد الشباب
(أسير) من فعل الزمان انحدر بي
من فعل ستين وسبع حساب
تخاصمت نفسي مع أكلي وشربي
وبديت (جدر) آيل للتراب
والحمد لله فضل جوده جدر بي
وعرفني المعروف قبل الحساب

قال ~ : "مناسبتها/ تذكرت قسوة الحياة في
هذه الدار الدنيا فقلت " :

يا دارُ ما بيني وبينكُ صداقهُ
أنتِ عدوٌّ من كبار المعادينُ
صَلِيَّاتِ نارِكِ مستمرِ إنطلاقه
ما مريومٍ من بلاكِ معافين
يا دارِ راسي داميَّاتِ فلاقه
من فعلكِ يا دارِ فعلِ المعادين (١)
يا دارِ يا دارِ التَّكْدِ والمحاقه
أنا أشهد انك للبلايا تحوكين
أمسيت يوم فيك مثل الحراقه
أنكرني الصاحب وربِّعِ قريبين

(١) فلاقه: أي جراحه.

من حملك الجاير ثقيل الوساقه
سكّانك يا دار ربّ مغيرين
يا دار جسمي عايب من ارهاقه
من نشأتي وأنتي علينا تجورين
شركّ علينا زايدٍ بانسياقه
من يوم كُنّا بك صغار وديعين
واليوم ذا جورك توسّع نطاقه
مدري متى يا دار شركّ تكفّين
ياليت ما بيني وبينك علاقه
يا دار ما كنا بك مستريحين
فيك البلاء والهّمّ والحزن فاقه
فيك الكدر والكيد يا دار فكّين
فيك البلاء مُرّ كريحه مذاقه
ذقنا وما زلنا نذوق الأمرين

يا دار ما بقيت لنا فيك طاقه
كنت لنا دارٍ وكنّا مقيمين
واليوم من ودك قطعنا العلاقه
ما عاد منّا عودهٍ لو تريدين
حل الرحيل وحل يوم انطلاقه
والخير كل الخير حظ المصلين
يا دار يوم فيك رزقي اشفاقه
أسعى وراه وربنا قدر الزين
ويوم غرور مغري في اشراقه
يغفل به الغافل رحول الشياطين
يا دار لو زلّ القدم في انزلاقه
منتي بنا حقٍ رحومٍ تروفين (١)

(١) تروفين: أي ترأفين وترحمين.

يا دار كل اللي كسبنا بطاقه
نشهد به التوحيد للرب والدين
يا دار من جورك ندافع بساقه
ياما ثنا دون هاك الرضاعين
واليوم شبان شباب وطاقه
الكل منهم بالوفاء مستعدين
منابع للجود أصل وعراقه
رجال من نسل الكرام الميامين
أخلاقهم تسمو بهم واللياقه
فهود على الواجب سباق سريعين
عز وفخر لأهلهم والرفاقه
والجار والعاني وكل المحققين
نبني بهم بيت وسيع رواقه
سيترو ملاذ للأهل والمحبيين

لا مسّهم يومٍ شديدٍ بفاقه
ولا غرغرت منهم دموعٍ من العين



قال ~: "مناسبتها/ شعرت بالأسى والحزن،
على سنين من الشباب قد قضت، بعيد عن الأهل
والوطن".

وفي نسخة أخرى قال ~: "وفي ذكر ما مر
علي من أيام شبابي التي أمضيتها في مراكز الحدود
في المنطقة الشمالية الغربية وكنت في معزل عن
المجتمع وعن الحياة العامة، في ذكر تلك الحقبة أو
العقود من الزمن التي مرت علي أقول بكل لوعة
وحسرة وأسى":

وا عمريّ اللي راح جّله خساره

ما بين حقل وحاج والنبك والجوف^(١)

(١) حقل، وذات الحاج، والنبك أبو قصر، والجوف، هي مواضع في منطقة
الحدود الشمالية، عمل بها الوالد ~ سنين طويلة.

مراكزٍ ما به من الخير شاره
ياما على فراقه تلاقن الكفوف^(١)
مراكزٍ فيها سكتا المغاره
والكوخ والعشّة سكتاه وكهوف
بيت الشعّر فيها نديد العماره
ما واحدٍ منهم لقي بيت من صوف
مراكزٍ مأمورها والأماره
والرأس والمرؤوس بالفقر مكتوف
عقودٍ مضت مابه من الكسب باره
لا راتبٍ يسوى ولا هوب مصروف
ساد الزمان اللي تواری مراره
مرارةً بالذوق والسمع والشوف

(١) تلاقن الكفوف: أي اصطك بعضها ببعض، إشارة إلى تمني الرحيل والفراق.

كسورٍ توالى ما لها من جباره
أعيت بها الأبطال والأصل معروف
غير الإله اللي إليه المساره
ما شيء يجبرني ولو كان موصوف
واليوم أنا بأرض الحرم في جواره
أسعى بمسعاها وراء البيت وأطوف
أهوى هوا مكة وسكنى (القراره)
في ربوة يعرف بها كل معروف^(١)
الله جعل حبه لقلبي مداره
مستهدفين البيت للأجر مهدوف
بيت بُني لله بتلك الحجاره
حجارٌ عن كل الحجر ما بها نوف

(١) القرارة: حي من أحياء مكة المكرمة يقع في وسطها قريباً من المسجد الحرام.

قدسية البقعة يضاعف اجاره
للمؤمن العامل بها شاف له شوف
فيها الهناء والخير في كل حاره
ومن الهناء يوجد بها كل مألوف
فيها السعد من كل جارٍ لجاره
والرزق والخيرات أنواع وصنوف
دارٍ بها في كل حين بشاره
أضعاف بها أجر المصلين بصفوف
والعتق من نارٍ تزايد حراره
لجنات فردوس له القلب ملهوف
فرض الصلاة لكل مسلم شعاره
الأجر في مكة يضاعف به ألوف
دارٍ لها من كل مسلم زياره
يأتي لها الحجاج طُوفٍ وراء طوف

الحمد لله يوم صح مساره
يوم انكشف للقلب ما كان مضموف



قال ~ :

صوتِ هَمْسٍ بالبِال صوتِ المناجاة
يقولُ خيرٌ بالوطنِ سوف يأتي
في ليلةٍ ظلمنا سمعتَ المناداة
منادي صوتٍ بالأعماق بات
يقول ما بيني وبينك معاداة
أنا الوطنُ برِّي ولو غاب يأتي
كم دورةٍ دار الدهر في دورات
يومٍ شديدٍ يذهل المرضعات
ويومٍ درور منسي كل ما فات
فيه الهناء واللي تمناه يأتي
ركبت رحلي من بلاد (القريات)
وجدي على أرضٍ به الميْت مات

عانيت أنا منها شديد المعاناة
وعرّضت فيها للمهالك حياتي
يوم اقتربت وبان لي خشم (أبانات)
ذكرت بعض اللي مضى لي وفات^(١)
كم روّعتني روعةٍ بعد روعات
فيها عرفت محب والكارهات
باريت أنا فيها كريم المبارات
وأدليت دلوي قبل ورد الرواة
والحمد لله خيرةً لنا جات
سرنا الطريق اللي به الخير يأتي



(١) المقصود جبال الأبانات المعروفة في القصيم.

قال ~ :

في ليلةٍ فيها هوا القيظ لهُاب
منذُ ثلاثِ ألّهبتُ في ضمّانا
يوم ادلهمّ الليل بغبار واتراب
وغابت نجومِ ضوّها اهتدانا
وغاب الصديق اللّي صدقنا والأقرب
ومِن كل مخلوقٍ قطعنا رجانا
دعيت ربّ يسمع الصوت ماغاب
يا رب جودك فالهلك احتوانا
جانا الفرج عجل مع الريح منجاب
في ليلةٍ سودا خطرها غشانا
في مزنةٍ تحمل من الميِّ ما طاب
بالنجدة اللّي أقبلت من سمانا

يوم استهلت صا في المزن منساب
فوق الصفاة اللي حوت ما روانا
من نجدة ساقه لنا رب الأرباب
الحمد للمولى هو اللي سقانا



قلت: أرسل له والده ~ رسالة يسأله فيها عن حاله، وهو إذ ذاك في عمله بالمنطقة الشمالية الغربية وقد انقطعت أخباره عنهم لفترة طويلة.

قال والدي ~ : "مناسبتها/ جاءني كتاب من والدي يعبر عن الشوق والحنين إلى اللقاء ويوصي بالزيارة بعد أن طال الغياب، وكنت أشاركة أشواقه فقررت السفر لزيارته رغم انقطاع الطرق وقلة وسائل الاتصال والمواصلات، وكان الوقت قيظ شديد الحرارة وكانت الصحاري التي أمامي وعرة المسالك ومياهها نادرة ولا تخلوا من قطاع الطرق، ولا بد من ركوب الصعب فركبته وقلت " :

حيّ الكتاب اللي لفي بالتحيات

حيّه وحيّ اللي بعث بالوصاية

يا مرحبا به عد نبت النباتات

وإعداد ما أينع قويّ النبات

حيّهُ عدد ما غاب فوق السماوات
وما بالبحر والبرحي وموات
ساعة قرينه ماج بالفكر موجات
هيّج شجونٍ بالحشى كامنات
زود حنيني للأهل والقربات
وأرضٍ بها أمضيت مقدم حياتي
وقت الصبا بأطرافها جلتُ جولات
تذوّقت دبح مياهاها والفرات
فيها حبيبٍ له رفيع المقامات
ودّي أزوره قبل فوت الفوات^(١)
وأسعد بشوفه بالشرف والمباهاة
وأرجي به المولى يزيد احسناتي

(١) يقصد والده .

لأجله تحمّلت السفر والمعاناة
وعرّضت فيها للمهالك حياتي
تعرّضت للبيداء بلياً مبالاة
رغم المنايا بأرضها ماثلات
ركبت رحلي من بلاد (القرىّات)
وحيد مالي صاحبٍ بالفلاة^(١)
رغم المضامي كامنّة بالمفازات
ومخاطرٍ فيها من المهالكات
يوم اقتربت وبان لي خشم (أبانات)
ذكرت بعض اللي مضى لي وفات
قومٍ تحب محبتها والمصافات
وقومٍ تروّح بالمكارم وتأتي

(١) يشير هنا إلى رحلته الرهيبة التي نجى فيها من الكثير من المهالك.

وقومٍ تجاهد بأرضها بالزراعات
وقومٍ ربيعته بالربيع الرعاة
ودي أزوره بالسنة عشر مرات
وأبات أنا فيها هنيّ المبات
حيث إنها دار الوفاء والكرامات
والخير فيها للمريدين ياتي
وأختم كلامي بالثنا والتحيات
على النبي الهاشمي والصلاة



قال ~ : موجهاً الكلام إلى بعض أبناءه:
عانيت من دربٍ شديد المحالي
أسعى على الأقدام وأدعس على الشوك
عبر الجزيرة جائلٍ في مجالي
خواطِرٍ دكّت على القلب داكوك
بشرق البلاد وغربها والشمال
أسعى ورا رزقك وأنا أرقبك واخوك
وكل المخاطر ما لها في خيالي
عواملٍ تغلب على القلب وتحوك
ممكّن تجيب الهدي من كل غالي
وتقدّمه للي يعزّك وعزّوك
وإن عثرت بك مظلّمات الليالي
ينأى خويك والموالين خلّوك

اترك خوي جاهلٍ ما يبالي
مشمول من فضلك وبالخير حبّوك
أوصيك باهلك ما لك اليوم والي
يرعى شؤونك غير أهلك يوالوك
هم اللي لهم دورٍ على كل حالٍ
وهم الذي لا باعك الناس يشروك



قال ~ : "مناسبتها/ كنت رئيس مركز الدفاع في الحدود الشمالية الغربية في مغير الطبيق^(١) وكان الراتب لا يصرف لنا إلا بعد مرور بضعة أشهر، واللحم لا وجود له ولا نكاد نذوقه إلا إن كان صيداً نبحث عنه في الصحراء، وكان الصيد غالباً يوجد في مناطق بعيدة نسبياً عن المركز مثل صيفور أو جبال الطبيق، وفي يومٍ من الأيام أردت أن أشجع أحد الجنود لأنه نشيط يستطيع أن يقطع المسافات البعيدة ومتدرب على الرماية تدريب جيد وماهر في اقتناص الصيد واسمه ناصر بن مثير السبيعي، فقلت هذه الأبيات ."

(١) الطبيق: منطقة تقع في شمال غرب البلاد على الحدود مع المملكة الأردنية، وهي الآن محمية طبيعية تبلغ مساحتها ١٢٢٠٠ كيلومتراً مربعاً، وأبرز الحيوانات في هذه المحمية هي ظبي الريم والوعل والذئب العربي.

يابن مثيب الله يودّيك (صيفور)
في سهلة تلقى بها الريم يجتال^(١)
إيا عديت الصبح مع فجّت النور
تلحق هواك وتدرك اللّي على البال
والأ شمال تطرد الوعل بالطور
في ساعة يطرب لها طيب الفال
بين الظبا والوعل بالصيد مسرور
يوم سعيد وكل يوم لنا حال



(١) يجتال: يتجوّل.

قال ~ : "مناسبتها/ عزمت على السفر من تبوك إلى البكيرية فطلبت إجازة من العمل ثم اشترت ذلول من (إبراهيم السليمان النملة) للسفر عليها، إذ لا يوجد غيرها فلا طائرات ولا سيارات، وكان الطريق مناطق جبلية تحرف المسافر عن اتجاهه خصوصاً إن كان ممن لا يعرف الطريق مثلي، ويعتمد بعد الله على الاتجاه ومعرفة النجوم، وكان الوقت شدة القيظ والأرض حارة والمياه نادرٌ وجودها ولا يعرفها إلا من له خبره في المنطقة، والطريق غير مأهول، فلا بدو ولا طراقي أو مسافرين لقحط الديرة وقلّة مياهها فلا يسلكها مسافر ممن يعرفها ولا بدو إلا أيام الربيع، وقد حذرني من يعرف تلك المنطقة بتجنبها وعدم التعرض للهلاك المحقق، لكنني كنت مضطراً فالإجازة لا تحصل في أي وقت أريده، ثم إنني لو طلبت الخوي لا أجده، وبدافع حب زيارة والدي وأقاربي وبدافع الإقدام والجرأة وعزيمة الشباب لم أتردد في السفر منفرداً رغم وجود قاطع طريق أعياء الحكومة

في القبض عليه، وقد تعرّضت في ذلك السفر إلى عدة مهالك، وقد أنجاني الله بعد أن حفرت قبراً ودفنت نفسي فيه حين أهلكني الظمأ، إلا أن الله ﷻ أنجاني وأنقذني بماء المطر رغم أنه لم يسبق عادة أن نزل المطر في أيام القيظ في تلك المناطق، قلت في ذلك:

(النملة) اللي باع منّي رحولي

حدّرتني المضماة والموت قدام

قال المفازة غالب ما تحولي

دون الذي تهواه لو كنت مقدم

زود على قِلّ الموارد محولي

كم واحد قبلك رقد به ولا قام

هذا مع إنك في وهاده جهول

(١) سموم قيض وافق اليوم حمام

(١) سموم: السموم هو الهواء الحار، قيض: القيض هو شدة الحر.

كم خار فيها من هجين الذلول
استسلمت يوم الحفا صاب الأقدام
فيها من الأخطار شيء يهول
زود على الأخطار مأوى للإجرام
قطّاع طرُقٍ به تجول و تصول
كم شلّحوا فيها طراقي و خدّام^(١)
لكنّ مولايّا منحني ميولي
نحوالتحرك صوب الأذنين ما دام^(٢)
ربي منحني حبهم ويش أقول
أمي وأبوي أيضا خوالي والأعمام
قلبي عليهم من قديمٍ يجول
يهوى الزيارة في سرّيعات الأيام

(١) شلّحوا: سرقوا، الطراقي: المسافرون، الخدّام: عمّال الدولة.

(٢) الأذنين: الأقربين.

وأنا بعيد الدار ثقلنّ حمولي
ما تحصل الفرصة على مرّ الأعوام
مخاطر والكرب يوم ويـزول
لو حدّر (النملة) أنا اليوم عزّام



وقال ~ :

سبحانُ ربي خالق الخلق كله
ربي خلقهم للعبادة والإحسانُ
بعض البشر هرجه كثيرٌ ودجله
ما يعرف المعروف عبّاد شيطان
شريدٍ في فكره ويّده ورجله
غمٍ على أهله وربعه وجيران
لو يبع ما يسوى ولا رأس فجله
مثل الجرب حده بزرنوخ قطران
إن شاف نمّام بشرّه هرج له
يسعى وراء الخيبة ولو كان خسران
عقوبته لا بد تأتيه عجله
عذاب بالدنيا والأخرى بنيران
مَيّ الفرات وزايدة مَيّ دجله
ما طهره لو دلّكه كل الأعوان



قال ~ :

يا دارُ واللَّهُ ما عليكِ حَسوفُهُ
ياما صبرنا فيك رِغم الكِلافُهُ
كان البلاء ماثل عيوني تشوفُهُ
كالنهر جارفتنا تحدُّه ضفافُهُ
موجٍ تقاذفتنا تِلاطمِ جِروفُهُ
مِرِّ فراشٍ لهُ ومِرِّ لحافِهِ
لا بد من يومٍ تجينا ضيوفُهُ
حتماً يجيب مضيِّفٍ مستضافِهِ
وبناتنا برِّ قِليلٍ وصوفِهِ
وَإخوانهن عِينٍ لنا بالخِلافِهِ
أمانهن من كلِّ غايلٍ ولوفِهِ
بعد الولي لولايف الدهر لافِهِ

نفسى عن الدانى أنوفٍ عزوفه
لوزينوا له غير زينٍ تعافه
ما طاب له غيرٍ يخضب كفوفه
مادام عن ربي بعيد المسافه



قال ~ :

هات القلم واكتب خواطر فؤادي
يمليه فكري والقلم سار بيدي
اكتب من القا في بيوت جدار
سريع من فيض الخواطر تزيد
ذكرت أنا وقت مضى من جهادي
يوم السواعد صامدة كالحديد
كم ليلية جنة شديد السواد
أمسيت فيها حارس بالجليد
متيقظ واليد فوق الزناد
أمام خصم لي شديد عنيد

يوم إلتقينا في بعيد البلاد
صادوه رجالٍ للغنايم تصيد^(١)
الرأى والتدبير قبل العتاد
واللي رقد واجه حسابٍ شديد
والحمد لله رب كل العباد
الخالق المعبود رب العبيد
كم ليلةٍ فيها تركنا الرقاد
نسعى على ذاك الطريق السديد
وكم جولةٍ فيها فقدنا الوداد
ما من صديق صادقٍ أو ودود
بين الوحوش الضارية سرت عادي
أريد أنا شيءٍ وربى يريد

(١) يشير هنا إلى الواقعة التي واجهه فيها هو واثنين من جنوده العشرات من المهريين والمجرمين فتغلبوا عليهم بفضل الله ﷻ .

أراد بي خيرٍ كثيرٍ الأعدادِ
الحمد له حمدٍ كثيرٍ عديدٍ



قال ~ : "مناسبتها/ أصابتنى وعكة شديدة
في ليلة الجمعة ١٢ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ فأنجاني
الله منها " :

البارحة زاد المرض واحتواني
ضنيت إنى هالكٍ لا محاله

رجعت لله يوم كل جفاني
ذاك المريب وكل ما بي أزاله

ربي كريمٍ من قديمٍ حماني
ودافع من العدوان شر الضلاله

الحمد لك يارب في كل آن
أحمدك وأشكرك يا عزيز الجلاله



قال ~ : " وفيها قلت أيضاً ."

أطبق عليّ الموت - ضيقُ خناقه

في ليلةٍ مجداً من الناس مخلوق

يوم اقترب منّي مذيقن مذاقه

ناديت ربِّ يسمع الصوت من فوق

زال الوجع وزال عني ارهاقه

حيث الفرج جاني من الرب مسيوق

نجيت من موتٍ بدا بي احقاقه

الحمد لله كنت أنا منه مرفوق



قال ~ :

عُمِرَ طَوِيلٍ كدَّرْتُ فِيهِ الْأَحْزَانَ
مَا مَرَّ يَوْمٍ سَالِمٍ مِنْ كدَّرَهَا
أَنَا وَعَمْرِي مِثْلَ غَضَّاتِ الْأَغْصَانِ
فِي مَسْرَحٍ لِلرِّيحِ تَذْبِيلَ زَهْرَهَا
أَنَا نَبَذْتُ الضَّمِيمَ وَأَقْفَيْتُ عَجَلَانَ
تَرَكَتُ أَنَا أَرْضَهُ وَقَلْبِي هَجْرَهَا
مَتَحَرِّيَ فَضْلَ الْوَالِيِّ وَيَنْ مَا كَانَ
شَرْقًا وَشِمَالًا وَمَوْغِلٍ فِي بَحْرَهَا
فَعَلَّ السَّبَبَ مَطْلُوبَ لَوْ كَانَ مَا كَانَ
مِنْذَ الْأَزْلِ وَمَسِيرٍ مَعَ دَهْرَهَا



قال ~ :

أرضي وسبعة ضاق فيها مجالي
فكّرت في أرضٍ وراء الحد من غاد
تطائرن أفكار قلبي وبالي
لولا رضاعين على الخد رقّاد
أربوا بهم عن كل قيلٍ وقال
وأرفق بهم من من الأقسين الأنداد
لكون طير راغب بالأعالي
في قارة من حولها الصيد ينصاد
أشرب من العذب العذيّ الزلال
وأطعم طعام يمهّ الروح تنقاد
لكون حُرّ بالفضاء ما يبالي
لا ضاقت الدنيا على بعض الأفراد



قال ~ : " عندما ثقلت اجتمع علي التقدم بالسن
وبعض الأمراض -فله الحمد والمنة- وفي بعض
الأحيان أريد أن أقوم من فراشي فأجد في ذلك صعوبة
ومتاعب كبيرة بعد أن كنت أقطع الفيافي وأسرح
مسرح الذلول على رجلي أمشي من تالي الليل طول
النهار إلى نصف الليل الثاني، هرولة وركض في
مطاردة الصيد في الشمال، ثم أصبحت الآن أتعب من
النهوض من فراشي، فقلت " :

راح الشباب وشاب جهدي وكلّيت
وملّيت من دربي كثيف الحجارة
وشربت من مُر المشارب وعلّيت
وملّيت من وضع شديد المراره
وردت أنا كل الموارد وأدليت
أدليت دلوي بعد طول المساره

وذقت أنا مُر المتاعب وحلّيت
حلّيت في أرضٍ تزايد غباره
في كل خطوة سرت بالدرب ما خطيت
ودرت الجزيرة برها مع بحاره
وسئمت من مجرى حياتي وملّيت
وسئلت ربي يكّر من في جواره
واليوم هذي منوتي لو تمنّيت
فراق المتاعب يوم كبرت صغاره
ما عاد لي طاقه على الفعل وأزريت
أزريت حتى من مَرَدّ الزياره



قال ~ :

غادرتُ أرضي طالبٍ للمعاني
ومن غيرِ حقِّه طالبَ الريحِ خسرانُ
يومِ أدركتنا عاديّاتِ الزمانِ
في ساحةٍ ما بين مقنا وعمّان^(١)
في فترةٍ ساد الكساد المكانِ
عمّ الكبير وسائر الناس ما كانُ
من البلاء والجور حلّ الهوانِ
وجدت من حولي من الناس حيرانُ
الكل من ما به عليلٍ يعاني
من الرثم^(٢) قوته بدا الصبح رتمانُ

(١) مقنا بلدة في شمال غرب السعودية ، وعمّان عاصمة الأردن .

(٢) الرتم شجر تأكله الغنم فيُسكّر حليبها فيقال له رتمان أو مرتوم .

قال ~ :

بين الطيبق وبين تيماء تجوّلتُ
وقتٍ طويلٍ من شبابي قضيته^(١)
في أرضها للخصم كيده تأملت
والجاني المجرم بذنبه رميته
مع لابةٍ تعرف من القول ما قلت
تسلك سلوكي كل دربٍ مشيته
أخلصت لله في كتابه تأولت
وقت العبادة ما تيسر قرينه
للدين والدنيا ترسّمت ما ملت
أطلب ثوابٍ طالما احتريته

(١) تيماء: محافظة تيماء تقع في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة العربية، تبعد حوالي ٢٦٥ كم شرقي مدينة تبوك .

للولي ربي عملت وتعاملت
هو ملجئي في كل وقت دعيت
استغفر الله كل ذنب أنا نلت
يغفر لي الزله وذنب جنيته



وقال ~: "البارحة أمسيت أفكر في إقبال
الناس على الدنيا وتهاونهم بأمور الدين وغفلتهم عن
أوامر الله، وانصياعهم إلى الدنيا في غفلة وإعراض
عن الله":

البارحه هاجت علي الهواجيس
أمسيت سهران بالأفكار محتاس
تعوذت من شر الشياطين وإبليس
اللي قعد للخلق في كل متراس
ليل سرى زادت علي الأحاسيس
مستكر ما يعمله معظم الناس
بياع دينه بالهال والتفالييس
خسران بالدنيا ودينه للافلاس



قال ~ : " رأيت السحب الكثيفة تدنو من فوق
الجبال قادمة من الغرب متجه نحو الشرق وكانت
الرياح الغربية تسوقها ، فتوقفت وتأمّلت لها -إن
شاء الله- ستمطر على نجد وخاصة القصيم فقلت:"

بحرٍ من الميِّ النقيِّ المقطَّر
أقفت به الغربي تقود وتسوقه
على (القصيم) أمست مزونه تمطَّر
فوق النخيل اللي يدليّ عذوقه
الله سقاه الوسم فوقه تقطَّر
لما ارتوت أرضه ومُجمل عروقه
من بحر جدة سار شرق وتشطَّر
ممطرن نجد لما حدود لوقه
يستاهل المي العذي المعطَّر
اللي ثمرها كل عامٍ ندوقه



وقال ~ - في موقف تعرض له في سفره المهلك
من الشمال إلى القصيم- :

غِبُّ الضما وردت بـيرِ طويله
أدليت دلوي ميرقصرت حباله (١)
نعيت نفسي من ضماها عليه
ترد المهالك لو بدا له زواله
نزلت فيها بعد فقد الوسيله
يوم ارتويت وقربت طاب فاله
صعدت منه بحمل ميّ ثقيله
رغم السلامة فيه صعبي مناله
كدت أتردى بعد حيلٍ وحيله
لولا العناية من عزيز الجلاله

(١) غب: الغب بالكسر: عاقبة الشيء وآخره.

الحمد لله كم كـرب يـزله
ويبدله باليسر يجري بداله



قال ~ : " مناسبتها / مناجاة للقلب والمواساة
لهدها، ليكون أقوى من الصلب، مهما جاء من البلاء
والمعاناة " :

نسيتُ يا قلبي همومكُ وبلواكُ
أسلى وتسلى ما بقى من لياليكُ
أودع شبابك بالرضا ربك أرضاك
لعل ربك من بلاياك ينجيك
أصبر وصابر كان كبرت بلاياك
واعرف ترى المولى عليها يكافيك
احذر صديقٍ في مساعيه عنّاك
بيدي الموده مير فعله يأذيك
كم مرة خادعك والمُرّ أسقاك
ما تنتبه لو كان بالسم يسقيك

لا تتخذع باللي من المكر بيداك
ترخص له الغالي وهو به يعنّيك
اللي يهمه ود ذولا وذولاك
ما كان في فعله صديق مصافيك
إن قلت له اعرف مع الناس ممشاك
اتبع طريق الدين ربك يعافيك
بيدي سروره شاكر لك مزاياك
يرخي لك المسمع وهو ماكر فيك
وإن سرت في دربه إلى الشين وذاك
وإن سرت رشدك فلا هو يماشيك
خيره بعيد وقطر وبله تعداك
وشره قريب وين ما رحت يتليك
يا ليتهم بالقلب يرمو بمرماك
ويا ليتهم بالقلب عرفوا مرافيك

ياقلب من سن الصبا هذي مناك
سعت جهدك لين حققت أمانيك
واليوم تزفر ضايقٍ من خطاياك
عيد الحساب وربنا ما يخليك
ياقلب كم عذبتني في مجارك
تهوى الصعود ومجهدٍ من يجاريك
ترغب تمام الأمر هذا وهذاك
لو كان من دونه متاعب تتاحيك
ياقلب من مثلك يسوي سواياك
تعبان يا قلبي وأنا متعب فيك
في كل عمري ساير في مراعاك
إلى متى ياقلب أبيتل أراعيك
ياقلب هذا حامي الجور يصلاك
ما تعتبر لو كان ناره تصاليك

فكّر قليل ولازم العقل مسعاك
لا تتعطف فالعطف يفسد مساعيك
كن حازمٍ فالحزم يحمي قضاياك
وأنص الصواب ولا تبدل مبادئك
ياالقلب طبت وطاب طيب محاكاك
للحق أنا ياالقلب لازم أحاكيك
رضيت بك ياالقلب وأرغب مرضاك
ولازلت أنا ياالقلب دومٍ أحبيك
والحمد لله يوم وردت مطاياك
مواردٍ كانت قديمٍ تغنيك



قال ~ : " مناسبتها / أني كنت بالمدينة المنورة
وعيالي بالطائف وعندما قدموا المدينة ورأيتهم
وارتاحت نفسي بوجودهم قلت هذه الأبيات " :

ياما حلايا هيه والشمل ملتّم
القلب يسعد في مشاهد عياله

هذا الجدار اللي بنيناه لا تم
لا شك هو ضافٍ علينا ضلاله

الكل منهم يجلي الحزن والغم
إن ساعد الله بارز في مجاله

سعادة لأب و الأخو والعم
وأمه وجيرانه وجدّه وخاله

يمكن جروح القلب فيهم تلائم
بقدره المولى عزيز جلاله

اللي وصل رحمه كريمٍ مكرمٍ
واللي يريد الخير حتماً يناله
لا بد من يوم مزونه ترزّم
على بلادي سايلاتِ جباله
والحمد لله صفوة العرق والدم
أصلٍ أصلٍ بالغٍ بالأصالة



قال ~ : " مناسبتها / بسبب الفراغ الذي شعرت
به عندما سافر أخوي من عندي قلت " :
حنينٌ قلبي لجّ بأرض الجزيره
من يومٍ رحنوا والحنين متواصل
يقولُ ما يملئ حياتي بغيره
محمد اللبي للقطوعين واصل
محمد اللبي له مزايا كثيره
مهما مدحتهُ قيل تحصيل حاصل



قلت: هذه الأبيات بما فيها من محبة ونصائح
وجهها إلى نسيبه أبو علي عبدالله بن علي السلامة :
يا أبو علي ودِّي لكم بالسعادة
الله يمتّعكم سنينٍ عديده
فيها الذراري والهنى والنجاة
والصالح الأصح لك الله يريد
يا أبو سلامة إن تريد الزيادة
فالزود بالطاعة وصدق العقيدة
والعلم نورٍ في طريق العبادة
واللي يريد العلم ربي يزيد
وصلاة ربي عد ولد الجرادة
وإعداد ما سبّح بحمده عبيده
وإعداد من يسعى لغاية مراده
وإعداد ما هزّ الهواء من جريده

وإعداد من يسعى على كسب زاده
وإعداد من يسعى على ما يريده
على نبي نور الله فزاده
وأعطاه غفران وحكمه مديده



قال ~ : "مناسبتها / بروز ابني محمد وكرمه
بالنفس والنفيس في مواضع ذلك".

هذا الذي شففته بنفسي برزّ لي
من ابني الأكبر تليدٍ على الجودِ

بكل ما يملك كريمٍ وجزلٍ
يزيد ما جاله مجال على الزودِ

يهوى المكارم بالأصالة يغزلِ
ما غازل الشبان زينات الخدودِ

هو التراث وللمكارم يعزلِ
نور يعزل الليل كالصبح محمودِ

يومٍ بدا دوره لعب وارتجز لي
هب الهوا له بالمكارم هوا النودِ

سمو نفسٍ حاربت كل هزلِ
ينبوع مسكٍ يثمر الورد والعودِ

فحلٍ طمّوح من المحاسن كَنَزَلي
كَنَزٍ كَبِيرِ نالِه الأهل وجدود
(محمد) اللّٰي للمعالِي قَفَزَلي
حُرِّ بنِي وكرِه على العز وسدود
ورث الشّهامة من جدودٍ وأزَلِ
رَبَّتْ به الرّفعة على كل منقود
الحمد لله كل سيرٍ ونزَلِ
وإعداد ما غرّد على الغصن غرّود



قال ~ : " ابني إبراهيم فيه أكثر من ميزة،
كريم وله من الجراءة والإقدام أكثر مما يوصف، لا
يعرف الخوف، وإذا قرر نَفَّذَ، و بَرُّ بَمَن حوله من
قريب أو بعيد ."

(إبراهيم) من سِنِ الطُفُولَةِ عَرَفْنَاهُ

رَجُلٍ عَزُومٍ مَائِهَابِ الْعَوَائِقِ

لَهُ هِمَةٌ يَحْتَاجُهَا طَالِبُ الْجَاهِ

وَمِنَ الْمَفَاخِرِ جَلُّهَا وَالِدَقَائِقِ

بِرٌّ بِأَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَوْلَاهِ

أَكْثَرَ مِنَ الْإِلْزَامِ مِنَ الْخَيْرِ فَيَأْتِي

مَنْ كَثُرَ مَا يُعْطَى مِنْ أَمْوَالِ مَوْلَاهِ

أَطْفَى لَهَبَ نَيْرَانِ شَرِّ الْحَرَائِقِ

مَنْ عَاشَ بِالدُّنْيَا عَرَفَهُ لَهُ مَزَايَاهِ

فِيهِ الْكِرْمُ وَالْجُودُ مَا كَانَ لَا يُقِ

زِينِ عَلَى زَيْنٍ حَصَلَ مَا تَمَنَّا
حَسَنَ السُّلُوكِ وَحَسَنُ تِلْكَ الْوَشَائِقِ



قال ~ : "لقد أثار اهتمامي ابني (علي) ببره بي
واهتمامه بإخوانه وجميع أهل البيت، فجزاه الله عن
الجميع خيرا الجزاء لذا أقول":

أهنيك باليقظة وبرك بأبيك

يا(علي) من مثلك بهالزمان

(أبا البراء) بحسن برّك أهنيك

من سار سيرك يستحق التهاني

أنا أشهد إنك متجه نحو باريك

الله يهيئ لك بلوغ الأمان

الله ينور لك بليتك مساريك

اللي وهبك الموهبة والإحسان

لعل من حولك بفعلك يباريك

يسلك سلوكك يوم أن الأوان

عرفتُ ما قلته دليل الوفاء فيك
عبّرت عمّا بالضمير الجنانِ
أشكر لك المولى عوينك وهاديك
اللي وهب لي من احسانه عطاني
اللّهُ من كلّ البلايا يعافيك
ويقيك زلّات القدم واللسانِ



الخاتمة

الخاتمة

وبعد... فهذه سيرة والدي ~ وصور مختلفة من حياته الحافلة بالجد والعطاء، وضعتها في نسقتها التاريخي، مستعيناً-بعد الله- بما رأيت وسمعت وقرأت عنه في حياته وبعد وفاته، ولا أزعم أنني أتيت على كل ما فيها، بل إن ما ذكرته في هذا الكتاب هو جزء بسيط من تلك الرحلة الطويلة التي امتدت على مدى اثنين وثمانين عاماً، عاشها والدي ولم أدرك منها إلا الربع،.. والربع قليل.

سَطَّرت ذلك وفاءً لوالدي ~ ، وطمعاً في أن أدرك شيئاً من برّه بعد وفاته؛ بتذكير القارئ أن يترحّم عليه ويدعو له بالمغفرة.

كما أرجو أن يكون عملي هذا إسهاماً في الدعوة والتربية لأبناء أسرتي خاصة، ولكل من قرأ

كتابي عامة، وقد قيل: "تراجم الرجال مدارس الأجيال"، كما أن هذا الكتاب وأمثاله هو إرث للأجيال القادمة، من حقهم أن يطلعوا عليه وأن يستفيدوا منه، وهو أمانة يتعين أداؤها ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾^(١).

وعندما يختتم الكتاب وينتهي الحديث أرجو أن تكون قد تشككت في الأذهان تلك الصورة البهية التي كنت أراها رأي العين، وليس رأي كمن سمع... أوقراً.

وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٣).

المصادر

المصادر

أولاً: المخطوطات والوثائق:

- ١- مخطوطات ووثائق كثيرة بخط يد الوالد ~ .
- ٢- تسجيلات صوتية للوالد ~ ، فيها مواعظ وأشعار.
- ٣- معلومات شفهية حصلت عليها من والدتي -أمد الله في عمرها- ومن جمع من الاخوة والأقارب من أبرزهم أخي الدكتور محمد وأخي الأستاذ الأديب إبراهيم وأخي الأستاذ علي وأخي الدكتور صالح وأبناء العم الأستاذ عبدالمحسن والشيخ ناصر والشيخ فريح ~ .
- ٤- وثائق ورسائل أمدني بها أخي الدكتور صالح الفريح.

٥- لقاء مسجّل مع فضيلة الشيخ محمد بن
عبدالله السبيّل.

٦- لقاء مسجّل مع سعادة الأستاذ الدكتور
محمد بن علي العقلا.

٧- وثيقة كتبها الشيخ سعيد بن حمود المطريّ.

٨- وثيقة كتبها الشريف صادق بن عبدالمعين
آل يحيى.

٩- وثيقة كتبها الشيخ الدكتور يوسف بن
عبدالله الوابل.

١٠- وثيقة كتبها الشيخ الدكتور محمد بن
سعيد القحطاني.

ثانياً: الكتب والمطبوعات.

- ١- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله البسام.
- ٢- علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، صالح العمري.
- ٣- من مشاهير الجزيرة العربية، عبدالكريم الحقييل.
- ٤- البكيرية، علي بن سليمان المقوشي.
- ٥- معجم مدينة الرياض، خالد السليمان.
- ٦- البدائع، عبدالله بن محمد العبيد.
- ٧- معجم مؤرخي الجزيرة العربية في العصر الحديث، عبدالكريم الحقييل.
- ٨- مجلة الدارة، العدد ٢، السنة ٣٠، عام ١٤٢٥هـ.





فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء
شكر وتقدير
المقدمة
الفصل الأول: حياته
اسمه ونسبه وأسرته
مولده ونشأته
حياته العلمية
حياته العملية ٦٣
أبرز صفاته
محبة العلم وتعظيم شأنه
الورع والزهد
الكرم

.....الرؤيا الصالحة

.....العطف والرحمة

.....الطموح والمثابرة

.....محبة الخير ومساعدة الناس

.....التواضع

.....أعماله الخيرية

.....مرضه ووفاته

.....بعض ما قيل فيه

.....مراثي قيلت فيه

.....رثاء جاره الشيخ عبدالرحمن الشلوي

.....رثاء أخي إبراهيم

.....رثاء أخي الدكتور صالح

.....رثاء كاتب السطور

.....ذريته

.....	الفصل الثاني: شعره
٣٣٣	الخاتمة
٣٣٧	المصادر
.....	أولاً: المخطوطات والوثائق
.....	ثانياً: الكتب والمطبوعات
٣٤٣	فهرس المحتويات



ومضات وأوقات

وبعد... فهذه سيرة والدي رحمته الله وصور مختلفة من حياته الحافلة بالجد والعطاء، وضعتها في نسقها التاريخي، مستعيناً بعد الله- بما رأيت وسمعت وقرأت عنه في حياته وبعد وفاته، ولا أزعج أني أتيت على كل ما فيها، بل إن ما ذكرته في هذا الكتاب هو جزء بسيط من تلك الرحلة الطويلة التي امتدت على مدى اثنين وثماتين عاماً، عاشها والدي ولم أدرك منها إلا الربع... والربع قليل. سطرّ ذلك وفاءً لوالدي رحمته الله وطمعاً في أن أدرك شيئاً من برّه بعد وفاته؛ بتذكير القارئ أن يترحم عليه ويدعو له بالمغفرة.

كما أرجو أن يكون عملي هذا إسهاماً في الدعوة والتربية لأبناء أسرتي خاصة، ولكل من قرأ كتابي عامة، وقد قيل: "تراجم الرجال مدارس الأجيال"، كما أن هذا الكتاب وأمثاله هو إرث للأجيال القادمة، من حقهم أن يطلعوا عليه وأن يستفيدوا منه، وهو أمانة يتعين أداؤها { فليؤد الذي أوّتمن أمانته وليتق الله ربه }.

وعندما يختم الكتاب وينتهي الحديث أرجو أن تكون قد تشكّلت في الأذهان تلك الصورة البهية التي كنت أراها رأي العين، وليس راءٍ كمن سمع... أو قرأ.

تأليف

شهر بن عبد الله الفريح